ديوان جميل بثينة

دار صادر
بيروت

ديوان

جَمِيل بُثَيْنَة

دار صادر
بيروت

ديوان جميل بثينة

جميل بن معمر

؟ — ٧٠١ م

لا يُذكر جميل إلا تبادر إلى الذهن ذلك الحبُّ العُذري الذي شُهر به أبناء عُذرة قبيلة الشاعر ، حتى قيل إنهم كانوا إذا أحبوا ماتوا ، لما هم عليه من الصدق والإخلاص ، ولما اتصفوا به من العفاف وكبح النفس عن شهواتها إذا اجتمعوا بمحبوباتهم ، على ما يلقون من الإبعاد والحرمان . لأن الشاعر منهم كان يحب الفتاة فيتغزل بها ، فيفتضح أمرها ، فإذا خطبها إلى أبيها ، ردّه خائباً مخافة التعيير لئلا يقال إنّه زوّجها به ستراً لعارها . ثم لا يلبث أن يزفّها إلى أول طالب يرتضيه لها ، ليجعلها محصنة في حمى بعلها ، فيصبح الشاعر كلفاً بحبّ امرأة متزوجة ، لا يجوز له أن يستبيح حرمها ، فتمتدّ يد السلطان إلى معاقبته والاقتصاص منه . ولكنه عاشق متبول لا يقوى على مغالبة هواه ، ولو كان فيه هلاكه ، فيسعى إلى الاجتماع بها سرّاً على غِرّة من أهلها ، حتى إذا عرفوا بأمره شدّدوا في حجبها عنه ، وشكوه إلى الوالي ، فيهدده ويتوعده ، ثم يهدر دمه ، فيهرب منه هائماً على وجهه ، يجوب القفار ، وينشد الأشعار ، حتى يأتيه الموت فينقذه من عذابه .

وجميل بن عبد الله بن مَعمَر العذري أصابه ما أصاب غيره من هؤلاء الشعراء التاعسين . فقد أحبّ بثينة بنت حَبَأ بن حُنّ بن ربيعة ، من عذرة ،

فهي ابنة عمه تلتقي وإياه في حنّ من ربيعة في النسب ، وكانا يقيمان في وادي القُرى ، وهو موضع في الحجاز قريب من المدينة ، وقيل إنّه أحبها وهو غلام صغير ، وهي جويرية لم تدرك ، ويروون على ذلك خبراً مستطرفاً ، قيل فيه إن جميلاً أقبل يوماً بإبله ، حتى أوردها وادياً يقال له بَغيض ، فاضّجع وأرسل الإبل مصعّدة ، وأهل بثينة بذيل الوادي ، فأقبلت بثينة وجارة لها واردتين ، فمرتا على فصال لجميل بُروك ، فضربتهن بثينة عابثة ، فأثخنتهن ، فسبّها جميل ، فردت عليه شتيمته ، فاستملح سِبابها وأحبّها . وفي ذلك يقول :

وأول ما قاد المودّةَ بيننا ... بوادي بَغيضٍ ، يا بُثينَ ، سِبابُ
فقلنا لها قولاً ، فجاءت بمثله ، ... لكلّ كلام ، يا بُثينَ ، جوابُ

على أن أخبار جميل وأشعاره تدلّنا أن بثينة لم تكن أول من أحب من النساء ، فقد تعشّق قبلها أختها أم الجُسَير أو أم الحسين ، على اختلاف الروايات فيها . فمن ذلك قوله ينسب بها :

ألم تسأل الدار القديمة : هل لها ... بأمّ جُسَيرٍ، بعد عهدِكَ ، من عهدِ

وقوله أيضاً :

يا خليليّ ، إنّ أمّ حسين ... حين يدنو الضجيعُ من عَلَلِهْ
روضةٌ ذاتُ صَفوةٍ وخُزامى ، ... جاد فيها الربيع من سَبَلِهْ

فلما علق بثينة شغلته عن سائر النساء ، فوقف قلبه وشعره عليها ، يذكر اسمها مرة ، ويكني عنه مرة باسم آخر ، حتى شُهر بها وشُهرت به ، فقيل : جميل بثينة . وتحدث بهما الناس في القبيلة وخارج القبيلة . فلما جاء يخطبها إلى أبيها ، ضنّ عليه بها ، لئلا يلحقه عارها ، وآثر تزويجها فتى من عُذرة

يقال له نُبَيه بن الأسود ، وفيه يقول جميل :

لقد أنكحوا جهلاً نُبَيهاً ظعينةً ، لطيفةَ طيّ الكشح ، ذاتَ شوًى خَدْلِ

وزاده زواجها ولهاً بها ، فأخذ يزورها خفية في بيت بعلها ، ويشبب بها في شعره ، ولم تكن تتوارى عنه إذا جاءها ، وتساعدها أخواتها على الاجتماع به ، ويحتلن على زوجها ووالدهن ، فيصرفنهما عنها ، إذا طلباه عندها . وتعرّض له أهلها وأنسباؤها غير مرة للإيقاع به ، فكان يدفعهم عنه معتزّاً بسيفه وشجاعته ، لا يبالي تألبهم عليه ، وفي ذلك يقول :

فليت رجالاً فيك قد نذَروا دمي ، وهَمّوا بقتلي ، يا بُثين ، لقوني
إذا ما رأوني طالعاً من ثَنيّةٍ ، يقولون : من هذا ؟ وقد عرفوني

ولم يقتصر الأمر عليهم بل تصدى له الشعراء من بني الأحبّ رهط بثينة يهجونه كعبيد الله بن قُطْبة وأخيه جوّاس ، وعُمَير بن رَمْل وسواهم ، فردّ عليهم جميل ، وبلغ من هجائهم ما بلغوا من هجائه . وكان جوّاس زوج أم الحسين أخت بثينة ، وقد تغزل بها جميل كما ذكرنا ، فأخذ يهجوه وجميل لا يجيبه احتقاراً له ، حتى قال في أخته :

إلى فَخِذَيها العَبْلَتَين ، وكانتا ، بعهديَ ، لَفّاوَين أُردِفتا ثِقْلا

فحمي جميل حينئذٍ وردّ عليه ، فالتحم بينهما الهجاء ، فغضب لجميل نفر من قومه ، يقال لهم بنو سفيان ، فجاؤوا إلى جوّاس ليلاً ، وهو في بيته ، فضربوه ، وعوّروا امرأته أم الحسين ، فقال جميل :

ما عَرّ جوّاسُ استَها ؟ إذ يسبُّهم بصَقْرَيْ بني سفيانَ : قيسٍ وعاصمِ

هما جرّدا أمّ الحسين ، وأوقعا   أمرّ وأدهى من وقيعة سالمِ

فاستاءت بثينة من جميل لهجائه أهلها جميعاً ، وما كانت تتوقّع منه أن يتناول أختها بشعره . فقال يخاطبها :

تفرّق أهلانا ، بُثينَ ، فمنهمُ   فريقٌ أقاموا ، واستمرّ فريقُ
فلو كنتُ خوّاراً لقد باح مُضمَري   ولكنني صُلْبُ القناةِ ، عريقُ
كأنْ لم نحارب ، يا بُثينَ ، لو انّه   تكشّفُ غُمّاها ، وأنتِ صديقُ

ولقد أعذر جميل إليها ، فإنّه شجاع حميّ الأنف لا يحتمل الضيم ، ولا ينكص عن مقارعة من هاجاه ، ما استطاع إليه سبيلاً . وهو إلى ذلك أعرابي فيه عنجهية أهل البادية ، وحفاظهم على الحُرَم ، ودفعهم الشر بمثله ، فلم يتمالك عن الإقذاع لأختها ، بعدما أقذع زوجها لأخته . وإذا كانت بثينة لا تحمل له الحقد ، وإن غضبت عليه ، فأهلها محنقون ساخطون يرصدون له الأذية ، ويوالون الشكوى إلى عشيرته مهددين متوعدين ، حتى إذا أعياهم أمره استعدَوا عليه عامر بن رِبْعي بن دجاجة ، وكان عاملاً على وادي القُرى ، وقالوا له : يهجونا ويغشى بيوتنا وينسب بنسائنا . فأباحهم دمه إن وجدوه قد غشي دورهم . فحذرهم مدة ، ثم وجدوه عندها ، فتوعدوه وكرهوا أن ينشب بينهم وبين قومه حرب في دمه ، وكان قومه أعزّ من قومها ، فأعادوا شكواه إلى العامل ، وشكوه إلى مروان بن هشام الحضرمي والي تيماء من قبل عبد الملك ، فطلبه طلباً شديداً ، فهرب إلى اليمن ، فأقام بها مدة ، حتى إذ عُزل الوالي عاد إليها يتبعها حيث كانت . وربما عرضت له أسفار أبعدته عنها ، فقد ترحّل إلى الشام وطالت إقامته فيها ، وقيل إن بثينة علقت في غيابه حُجنة الهلالي ، فلما رجع جميل جفاها زمناً ثم اصطلحا وعاد الهوى إلى حاله ، وكثيراً ما كانت تحدث أمثال هذه

المجافيات بينهما ، كما تحدث بين العشاق عادة ، تتعمدها بثينة إثارة لغيرته أو نكاية به لأمر تتسخطه منه . وربما حدث ذلك بمساعي أهلها أو أهله . روى صاحب الأغاني أن رهط بثينة أخذوا يذيعون أن جميلاً يتبع أمَةً لهم ، وأن بثينة لا علاقة لها به ، يريدون إذلاله وتبرئة فتاتهم ، فاحتدم جميل غيظاً ، وأراد تكذيبهم صوناً لسمعته ، وإن أساء إلى سمعة حبيبته ، وهو صنيع لا يحمد عليه العاشق العذري ، ولكن خلق البداوة يغلب أحياناً عليه . فواعد بثينة ببرقاء ذي ضال ، فتحادثا ليلاً طويلاً حتى أسحرا . ثم قال لها : هل لك أن ترقدي ؟

قالت : ما شئت ، وأنا خائفة أن نكون قد أصبحنا .

فوسّدها إلى جانبه ، ثم اضطجعا ونامت . فانسلّ واستوى على راحلته فذهب . وأصبحت في مضجعها والحي يراها راقدة عند مناخ راحلة جميل . فلما انتبهت علمت ما أراده بها ، فهجرته وآلت ألا تظهر له . وفي ذلك يقول :

فمن يكُ في حبي بثينةَ يَمتري ، فبرقاءُ ذي ضالٍ عليّ شهيدُ

ولطالما قرّعه نساءُ عشيرته ليبعدنه عنها ، فيقلن له : إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر ، وغيرها أولى بوصلك منها ، كما أن غيرك يحظى بها ؛ فيتألم جميل ويعاتب بثينة ويتهمها ، فيتهاجران مدة ثم يتعاتبان ويتصافيان . وربما رآها تتحدّث إلى فتى من بني عمّها ، منصرفة إليه بجملتها ، فيتلظّى فؤاده غيرة عليها ، فيعطف على فتاة غيرْها يحادثها ويلازمها ، فيشقُّ ذلك عليه وعلى بثينة ، وكل واحد منهما يكره أن يبدي لصاحبه شأنه حتى إذا غلبه الأمر دخل إلى البيت الذي كان يجتمع فيه معها . فتراه بثينة فتأتي إلى البيت ولا تبرز له ، فيجزع جميل ، ويجعل كل واحد منهما يطالع صاحبه ، وقد بلغ الأمر من جميل كل مبلغ ، فيقول :

لقد خفت أن يغتالني الموتُ عَنوةً ، وفي النفس حاجاتٌ إليكِ كما هيا
وإني لتثنيني الحفيظة ، كلّما لقيتكِ يوماً ، أن أبثّكِ ما بيا
ألم تعلمي ، يا عذبة الرّيق ، أنّني أظلّ ، إذا لم أُسقَ ريقكِ ، صاديا ؟

فترقّ له وتصالحه ثم تقول له : أنشدني قولك :

تظل وراء السّتر ترنو بلحظها ، إذا مرّ من أترابها من يروقها

فينشدها إياه ، فتبكي وتقول : كلا يا جميل ، ومن ترى أنّه يروقني غيرك !

فقد كانت بثينة تهوى جميلاً ، وتؤثره على غيره من الفتيان الذين كانوا يروقونها ، فتميل إليهم تلهياً أو تشفياً ، وظلت محافظة على مودته ، وهي امرأة ذات بعل ، لا تتلكأ عن الاختلاء به كلما جاء إليها ، أو دعاها إليه ، وحسبنا دليلاً على وفائها له ، ما أصابها يوم نعاه الناعي إليها . وكان قد هاجر إلى مصر بعدما بلغ به اليأس مبلغه ، فمرض هناك مرضته الأخيرة ، فلما حضرته الوفاة دعا برجل وقال له : « هل لك أن أعطيك كل ما أخلّفه ، على أن تفعل شيئاً أعهد به إليك ؟ » قال : نعم . قال : « إذا متُّ ، فخذ حلّتي هذه ، واعزلها جانباً ، وكل شيء سواها لك ، وارحل إلى رهط بثينة على ناقتي هذه ، والبس حلّتي هذه إذا وصلت ، واشققها ثم اعلُ على شَرف ، وصح بهذه الأبيات :

« صدع النَّعيُّ ، وما كنى ، بجميلِ ، وثوى بمصرَ ثَواءَ غير قَفولِ
ولقد أجُرُّ الذيلَ في وادي القُرى ، نشوانَ بين مَزارعٍ ونخيلِ
قُومي ، بثينةُ ، فاندبي بعويلِ ، وابكي خليلك دون كلّ خليلِ »

فلما أتى الرجل وأنشد الأبيات ، برزت بثينة وقالت : « يا هذا ، إن كنت صادقاً فقد قتلتني ، وإن كنت كاذباً فقد فضحتني . » فقال : « ما أنا إلاّ

صادق . » وأراها الحلة ، فصاحت ، وصكت وجهها . فاجتمع نساء الحي يبكين معها ، حتى صعقت . فمكثت مغشياً عليها ساعة ثم قامت وقالت :

وإنّ سُلوّي عن جميل لساعة من الدهر ما حانت، ولا حان حينُها
سَواءٌ علينا ، يا جميل بن مَعْمَرٍ ، إذا متَّ ، بأساءُ الحياة ولينُها

وأما حُبُّ جميل لبثينة فلم يخالطه هوى آخر ، على كثرة الفتيات اللواتي كن يتعرضن له ، وهن من عشيرته ، ليصرفنه عنها ، فما هفا فؤاده إلى سواها ، ولا استملح حديثاً غير حديثها ، ولا استعذب ثغراً سوى ثغرها ، ولم يقل الشعر ، بعدما أحبها ، إلا فيها ، ومات وذكرها في قلبه ولسانه ؛ وآخر شعر قاله بعث به إليها . وهي التي أوحت إليه الغزل الجميل الذي لم يعرف الشعر القديم أوقع منه أثراً في النفس ، ولا أبلغ منه تحريكاً للقلب وإثارة للعاطفة ، لا يقتصر على التشبيب بمحاسن المرأة بل يضيف إليه شيئاً روحيّاً يُعنى بنفس الشاعر ومشاعرها وآلامها وآمالها ، وربما كانت عنايته بنفسه أكثر من عنايته بوصف محبوبته ، فلا يكاد يذكرها حتى ينصرف إلى بثّ شكواه وما يلاقيه من تباريح البعد والجفاء والحرمان ، صادق اللوعة ، عف الضمير واللسان ، رصين التعبير لا يتبذل . وقلما قرأت له من الشعر ما يبعث الشك في عفته وعفة صاحبته إلا أبياتاً قليلة تلمح من خلالها الريبة لمحاً ، وقد يكون الدافع إليها سخطة منه على بثينة إذا هجرته أو مالت إلى غيره ، كما حدث له معها حين علقت حُجنة الهلالي ، فطلب منها أن تُعلم جميلاً بأنها استبدلته به ، فقالت :

ألم ترَ أنّ الماءَ غُيّر بعدكم ، وأنّ شِعابَ القلب بعدكَ حُلّتِ ؟

فأجابها جميل :

فإن تكُ حُلّت ، فالشِّعاب كثيرة ، وقد نهلت منها قَلوصي وعلّتِ

أو أن يكون الدافع إليها حميّته البدوية للذود عن كرامته كقوله :

فبرقاءُ ذي ضالٍ عليّ شهيدُ

أو أنها تأتي في جملة تشبيبه فيذكر عناقها ورشف ثغرها مثل قوله :

ألم تعلمي ، يا عذبة الريق ، أنّني   أظلُّ ، إذا لم أُسقَ ريقكِ ، صاديا ؟

وهذه كلّها هنات لا تقدح في عِفة غزل جميل وروحانيته ، وهو القائل :

وإني لأرضى من بُثينة بالذي   لوَ ابصره الواشي لقرّت بلابلُه

بلا ، وبألاّ أستطيع ، وبالمنى ،   وبالأمل المرجوّ قد خاب آملُه

وبالنظرة العَجْلى ، وبالحول ينقضي   أواخرُه ، لا تلتقي ، وأوائلُه

ويقول أيضاً :

يموت الهوى مني إذا ما لقيتُها ،   ويحيا إذا فارقتُها ، فيعودُ

أما أخباره ففيها تناقض كثير بحسب اختلاف الروايات ، فمنها ما تتحدث عن عفته وتغالي فيها ، ومنها ما ترينا الريبة في خلواته مع بثينة ، فتفسد علينا جمال الهوى العذري ، فإذا هما عاشقان يقتطفان الملذات كسائر العشاق ، وقد يكون في هذه الأخبار ما هو موضوع عليهما رغبة في تفكهة الناس وتسليتهم بغرائب أحاديث المتيّمين ، فشعره ، على علاته ، أحقُّ من أخباره بصيانة وجه الجمال العذري .

بطرس البستاني

حرف الهمزة

أحيي نفساً مريضة*

لقد أورَثتْ قلبي ، وكان مُصَحَّحاً ، بُثَيْنَةُ صَدْعاً يومَ طارَ رِداؤها
إذا خَطرتْ من ذِكْرِ بَثْنَةَ خَطْرَةٌ عَصَتْني شؤونُ العَينِ فانهَلَّ ماؤها[1]
فإنْ لم أزُرْها عادني الشَّوقُ والهوى وعاود قلبي من بُثَيْنَةَ داؤها
وكيف بنفسٍ أنتِ هيّجتِ سُقمَها ويُمْنَعُ منها يا بُثَيْنَ شفاؤها
لقد كنتُ أرجو أن تجودي بنائلٍ فأخْلفَ نفسي مِنْ جَدَاكِ رجاؤها[2]
فلوْ أنّ نفسي يا بُثَيْنَ تُطيعني لقد طالَ عنكم صبرُها وعَزاؤها
ولكن عَصَتْني واستبدّتْ بأمرِها فأنتِ هَوَاها، يا بُثَيْنَ، وشاؤها[3]
فأحْيِي، هَدَاكِ اللهُ، نفساً مريضةً طويلاً بكمْ تَهْيامُها وعَنَاؤها

---

* هذه القصيدة ليست من الديوان وقد عثر بها الدكتور حسين نصار في مخطوطة منتهى الطلب .
١ شؤون العين : العروق التي يجري الدمع فيها منها .
٢ النائل : العطاء . الجدا : العطية .
٣ شاؤها : كذا في الأصل .

وكم وعدتْنا من مَواعدَ، لو وَفَتْ بوأيٍ، فلم تُنجزْ، قليلٍ غَناؤها[1]
وكم لي علَيْها مِنْ ديونٍ كثيرةٍ طويلٍ تقَاضيها بطيءٍ قَضاؤها
تجودُ بهِ في النَّوم غيرَ مُصَرَّدٍ ويُخزَنُ أيْقاظاً علَيها عَطاؤها[2]
إذا قلتُ: قد جادتْ لنا بِنَوالِها أبَتْ، ثمّ قالت: خُطَّةٌ لا أشاؤها
أعاذِلَتي فيها، لكِ الوَيْلُ، أقصِري مِنَ اللّوم عنّي اليومَ أنتِ فِداؤها
فما ظَبْيَةٌ أدْماءُ لاحِقَةُ الحَشَا بصحراءِ قَوٍّ أفردتْها ظِباؤها
تُراعِي قليلاً ثم تَحْنُو إلى طَلاً إذا ما دعتْهُ والبُغامُ دُعاؤها[3]
بأحْسنَ مِنْها مُقْلةً ومُقَلَّداً إذا جُلِيَتْ لا يُستطاع اجتلاؤها
وتَبْسِمُ عَنْ غُرٍّ عِذَابٍ كأنّها أقاحٍ حَكَتْها يومَ دَجْنٍ سماؤها
إذا اندفعت تمشي الهُوَيْنى كأنّها قَناةٌ تعَلَّتْ لينُها واستواؤها[4]
إذا قعدتْ في البيتِ يُشْرقُ بيتُها وإنْ برزتْ يزدادُ حُسْناً فِناؤها
قَطوفٌ ألوفٌ للحِجال يَزِينُها مَعَ الدّلِّ منها جسمُها وحَياؤها[5]

١ الوأي: الوعد الذي يوثقه الرجل على نفسه ويعزم على الوفاء به.
٢ المصرد: المقلل.
٣ تراعي: ترعى مع رفيقاتها. الطلا: ولد الظبي ساعة يولد. البغام: صياح الظبية إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها.
٤ تعلت: من العلل، أي شربت مرة بعد مرة.
٥ القطوف: التي تسير على مهل.

مُنَعَّمَةٌ ليستْ بسوداءَ سَلْفَعٍ   طويلٍ بجِيرانِ البيُوت نِداؤها[1]
فَدَتْكِ من النّسوان كُلُّ شَرِيرةٍ   صَخُوبٍ كثيرٍ فُحْشُها وبَذاؤها
فهذا ثَنائي إنْ نأتْ ، وإذا دَنَتْ،   فكيف علينا، ليت شِعري، ثناؤها!

١ السلفع : الصخابة البذيئة السيئة الخلق .

حرف الباء

هل يقتل الحب؟

تَذكّرَ أُنْساً، من بُثَينَةَ ، ذا القلبُ ، وبَثنةُ ذكراها، لذي شَجَنٍ، نَصْبُ[1]
وحنّتْ قَلوصي ، فاستمعتُ لسَجْرِها برملةِ لُدٍّ ، وهيَ مَثْنيّةٌ تَحْبُو[2]
أكذّبتُ طرفي ، أم رأيتُ بذي الغضا، لبَثْنَةَ ، ناراً، فارفَعوا أيها الرَّكبُ![3]
إلى ضوءِ نارٍ ما تَبُوخُ ، كأنّها من البُعدِ والإقواء ، جَيبٌ له نَقْبُ[4]
ألا أيها النُّوّامُ ، ويحكُمُ ، هبُّوا ! أسائلكُمْ : هل يقتلُ الرجلَ الحبُّ؟
ألا رُبّ رَكبٍ قد وقفتُ مطيَّهُمْ عليكِ ، ولولا أنتِ ، لم يقفِ الرَّكبُ
لها النّظرةُ الأولى عليهم ، وبَسطةٌ ، وإن كرّتِ الأبصارُ ، كان لها العُقْبُ[5]

---

١ النصب : الداء والبلاء .
٢ القلوص : الناقة الشابة . السجر : حنين الناقة إذا مدت صوتها . لد : اسم رملة بالشام . مثنية : معقولة . تحبو : تزحف . والبعير المعقول يحبو إذا زحف .
٣ الغضا : شجر ، وموضع . ارفعوا : أي ارفعوا السير .
٤ تبوخ : تخمد . الإقواء : الخلو . الجيب : طوق القميص ، ومدخل الأرض . النقب : طريق في الجبل ، والثقب .
٥ العقب : العاقبة ، أي آخر نظرة .

إذا حلت بمصر

أشاقكَ عالجٌ ، فإلى الكثيبِ ، إلى الداراتِ من هضَبِ القَليبِ[1]
إذا حلّتْ بمصرَ ، وحَلّ أهلي بيَثْرِبَ ، بينَ آطامٍ ولُوبِ[2]
مجاورةً بمسكنها نجيباً ، وما هيَ حينَ تُسألُ من مُجيبِ
وأهوى الأرضِ عندي حيثُ حلّتْ، بجَدْبٍ في المنازلِ ، أو خَصيبِ

---

١ عالج : موضع به رمل . الهضب ، جمع هضبة : وهي الجبل المنبسط على الأرض . القليب : البئر القديمة .

٢ يثرب : المدينة . الآطام ، جمع أطم : وهو الحصن المبني بالحجارة ، وكل بيت مربع مسطح . اللوب ، جمع لابة : وهي الحرة ، ويريد بذلك لابتي المدينة ، وهما حرتان تكتنفانها .

نصيبي من الدنيا

من الخَفِرات البِيضِ أخلصَ لونُها، تُلاحي عدوّاً لم يجِدْ ما يَعيبُها
فما مُزْنَةٌ بينَ السِّماكَينِ أومَضَتْ، من النُّورِ، ثمّ استَعرضتْها جَنوبُها[1]
بأحسنَ منها، يومَ قالتْ، وعندنا، من الناسِ، أوباشٌ يُخافُ شُغوبُها:
تعايَيْتَ، فاستغنيْتَ عنّا بغيرِنا، إلى يوم يَلقَى كلُّ نفسٍ حبيبُها
ودِدتُ، ولا تُغني الوِدادةُ، أنها نصيبي من الدنْيا، وأني نَصيبُها

---

١ المزنة: المطرة. السماكان: نجمان نيران، وهما الأعزل والرامح. جنوبها: أي ريحها الجنوبية.

أريبنا

بثينةُ قالتْ : يا جميلُ ، أرَبْتَني ، فقلتُ : كِلانَا ، يا بُثينَ ، مُريبُ
وأرْيَبُنَا مَن لا يُؤدّي أمانَةً ، ولا يَحفَظُ الأسرارَ حِينَ يَغيبُ
بعيدٌ على من ليسَ يطلبُ حاجةً ، وأمّا على ذي حاجةٍ فقريبُ

ألذ العتاب

رِدِ الماءَ ما جاءتْ بصفوٍ ذَنائبُهُ ، ودعْهُ إذا خِيضَتْ بطَرْقٍ مَشارِبُهُ[1]
أُعاتِبُ مَن يحلو لديّ عِتابُهُ ، وأتركُ من لا أشتهي ، وأُجانبُهُ
ومن لذّةِ الدنيا ، وإن كنتَ ظالماً ، عناقُكَ مَظلوماً ، وأنتَ تُعاتِبُهُ

---

١ الذنائب ، جمع ذنوب : وهي الدلو العظيمة . خيضت : خلطت . الطرق : أن تبول الإبل وتبعر بالماء فتكدره .

بدلت غيرك من قلب

قال جميل لما بعد عن بثينة ، وخاف السلطان :

ألا قد أرى ، إلاّ بثينةَ ، للقلبِ ، بوادي بَديّ ، لا بحِسْمى ولا شَغْبِ[1]
ولا ببراقٍ قد تيمّمتَ ، فاعترفْ لما أنتَ لاقٍ ، أو تنكّبْ عن الرّكبِ[2]
أفي كلّ يومٍ أنتَ مُحدِثُ صَبوةٍ ، تموتُ لها ، بُدّلتُ غيرَكَ من قلبِ

---

١ بدي : واد لبني عامر بنجد . حسمى : أرض بينها وبين وادي القرى ليلتان ، ووادي القرى موطن جميل وبثينة . الشغب : قرية خلف وادي القرى .

٢ براق : موضع قرب وادي القرى ، ويعرف ببراق ثجر . تيممت : قصدت وتوخيت . والتيمم أيضاً : مسح الوجه واليدين بالتراب للصلاة عند عدم الماء .

وقفة على الديار

إنّ المنازلَ هيّجتْ أطرابي ، واستعْجَمَتْ آياتُها بجوابي[1]
قفراً تلوح بذي اللُّجيَنِ ، كأنّها أنضاءُ رسمٍ ، أو سطورُ كتابِ[2]
لمّا وقفتُ بها القَلوصَ ، تبادرتْ مني الدموعُ ، لفُرقةِ الأحبابِ[3]
وذكرتُ عصراً، يا بُثينةُ، شاقني ، وذكرتُ أيّامي ، وشَرخَ شبابي

---

١ الأطراب ، جمع طرب : وهي خفة تلحق الإنسان من فرح أو حزن ، وهنا بمعنى الحزن .
استعجمت : سكتت وعجزت عن الكلام . آياتها : علاماتها .
٢ ذو اللجين : موضع . الأنضاء : الباليات .
٣ القلوص : الناقة الشابة .

ارحميني

ارحَميني ، فقد بَليتُ ، فحَسبي بعضُ ذا الداء ، يا بُثينةُ ، حَسبي !
لامني فيكِ ، يا بُثينةُ ، صَحبي ، لا تلوموا ، قد أقرَحَ الحُبُّ قلبي !
زعمَ الناسُ أنّ دائيَ طِبّي ، أنتِ ، واللهِ ، يا بُثينةُ ، طِبّي ![1]

ثغر بثينة

بثغرٍ قد سُقِينَ المسكَ منهُ مَساويكُ البَشامِ ، ومن غُروبِ[2]
ومن مَجرى غوَارِبِ أُقحُوَانٍ ، شَتيتِ النَّبْتِ ، في عامٍ خصيبِ[3]

---

١ دائي : أي حبي ، والمراد أن يحب غيرها .
٢ مساويك : نائب فاعل لسقين ، على لغة قليلة . البشام : شجر عطر تتخذ منه المساويك . الغروب ، جمع غرب : وهو كثرة الريق وبلله .
٣ الغوارب : أعالي الماء . الأقحوان : زهر البابونج ، تشبه به الأسنان في بياضها وانتظامها . شتيت النبت : متفرق النبت غير متراكب . في عام خصيب : أي أقحوان منور ند .

أخو الحبيب

وقالوا : يا جميلُ ، أتى أخوها ، فقلت : أتَى الحبيبُ أخُو الحبيبِ
أحبُّكَ أن نزلتَ جبالَ حِسْمى ، وأن ناسبتَ بَثنةَ من قريبِ[1]

طيف بثينة

أمنكِ سرى ، يا بَثْنَ ، طيفٌ تأوَّبا ، هُدُوّاً، فهاجَ القلبَ شوقاً ، وأنصَبا ؟[2]
عجِبتُ له أن زار في النوم مَضْجَعي ، ولو زارني مُستيقِظاً ، كان أعجَبا

---

١ حسمى : أرض بينها وبين وادي القرى ليلتان . ناسبت بثنة : أي كنت نسيباً لها .
٢ تأوب : رجع . هدواً : ليلا . أنصب : أتعب .

أول الحب

قيل إن جميلا أقبل يوماً بإبله ، حتّى أوردها وادياً يقال له بغيض ، فاضجع وأرسل إبله مصعدة ، وأهل بثينة بذيل الوادي . فأقبلت بثينة وجارة لها واردتين ، فمرتا على فصال لجميل بروك ، فضربتهن بثينة ، وكانت حينئذ جويرية لم تدرك . فسبها جميل ، فسبته ، فملح إليه سبابها وأحبها . وفي ذلك يقول :

وأوّل ما قادَ المَوَدّةَ بيننا ، بوادي بَغيضٍ ، يا بُثينَ ، سِبابُ
وقلنا لها قوْلاً ، فجاءتْ بمِثلِهِ ، لكلّ كلامٍ ، يا بُثينَ ، جوابُ

حرف التاء

قتيل الغانيات

وما بكتِ النساءُ على قَتيلٍ ، بأشْرَفَ من قتيلِ الغَانياتِ
فلمّا ماتَ من طَرَبٍ وسُكْرٍ ، ردَدنَ حياتَه بالمُسْمِعاتِ[1]
فقامَ يجُرُّ عِطفَيهِ خُماراً ، وكان قَريبَ عَهدٍ بالمَماتِ[2]

---

[1] المسمعات : المغنيات .
[2] خماراً : سكراً .

حلفة صادق

حلفتُ لها بالبُدْنِ تَدمَى نُحورُها : لقد شَقِيَتْ نفسي بكم ، وعُنِيتُ[1]
حلفتُ يميناً ، يا بُثينَةُ ، صادقاً ، فإن كنتُ فيها كاذباً ، فعَميتُ !
إذا كان جِلدٌ غيرُ جِلدِكِ مَسّني ، وباشَرني ، دونَ الشّعارِ ، شَرِيتُ[2]
ولو أنّ داعٍ منكِ يدعو جِنازتي ، وكنتُ على أيدي الرّجالِ ، حَيِيتُ

---

١ البدن : ما يهدى من النوق إلى مكة ليضحى به .
٢ الشعار : الثوب الذي يلي الجسد . شريت : أصابني الشرى ، وهو بثور صغار حمر في الجلد ، حكاكة مكربة .

حرف الحاء

ألذ من الدنيا

استعدى أهل بثينة على جميل مروان بن هشام الحضرمي فتوعده ، فاستخفى جميل عند سيد من قومه . فزين سبع بنات له رجاء أن يعلق واحدة منهن فيزوجه إياها ، فكن يرفعن الخباء إذا أقبل جميل ، وفطن هو لذلك ، فقال هذا الشعر ، فسمعه الشيخ فقال لبناته : أرخين الخباء ، لا يفلح والله هذا أبداً !

حلفْتُ ، لِكيما تَعلمِيني صادقاً ، ولَلصّدقُ خيرٌ في الأمورِ ، وأنجحُ
لَتَكليمُ يومٍ ، من بُثينةَ ، واحدٍ ، ألَذُّ من الدّنْيا ، لديّ ، وأملَحُ
من الدهرِ لو أخلو بكُنّ ، وإنّما أعالِجُ قلباً طامحاً ، حيثُ يَطمَحُ[1]
ترى البُزْلَ يَكرَهنَ الرياحَ إذا جرَتْ ، وبَثنَةُ ، إن هبّتْ بها الرّيحُ ، تفرَحُ[2]
بذي أشَرٍ ، كالأقحُوانِ ، يزينُه ندى الطَّلّ ، إلاّ أنّهُ هو أملَحُ[3]

---

١ من الدهر : أراد من نعم الدهر .
٢ البزل : أي الطاعنات في السن .
٣ الأشر : تحزيز الأسنان وبريقها . الأقحوان : زهر البابونج . الطل : المطر الخفيف .

بين قتل وصلاح

تنادَى آلُ بَثْنَةَ بالرَّوَاحِ ، وقد تَرَكوا فؤادَكَ غيرَ صاحِ
فيا لكَ مَنظَراً ، ومسيرَ رَكبٍ ، شَجاني حينَ أبعدَ في الفَيَاحِ[1]
ويا لكِ خُلّةً ظَفِرَتْ بعقلي ، كما ظَفِرَ المُقامِرُ بالقِداحِ[2]
أُريدُ صَلاحَها ، وتُريدُ قتلي ، وشتّى بينَ قتلي والصّلاحِ !
لَعَمْرُ أبيكِ ، لا تَجِدينَ عَهدي كَعَهْدِكِ ، في المودّةِ والسّماحِ
ولو أرسلتِ تستَهدينَ نفسي ، أتاكِ بها رسولُكِ في سَراحِ[3]

---

١ الفياح : المتسع .
٢ القداح : سهام الميسر .
٣ تستهدين : تطلبين هدية . السراح : الطلاق ، أي طلاق نفسه .

هيام !

لقد ذَرَفَتْ عيني وطال سُفُوحُها ، وأصبحَ ، من نفسي سقيماً، صحيحُها
ألا ليتَنا نَحْيا جميعاً ، وإن نَمُتْ ، يُجاوِرُ ، في الموتى ، ضريحي ضريحُها
فما أنا ، في طولِ الحياةِ ، براغِبٍ ، إذا قِيلَ قد سُوّي عليها صَفِيحُها[1]
أظلُّ ، نهاري ، مُستَهاماً ، ويلتقي ، مع الليل، روحي ، في المَنام، وروحُها
فهل ليَ ، في كتمانِ حُبّيَ ، راحةٌ ، وهل تنفعنّي بَوحةٌ لو أبوحُها !

1 الصفيح : حجارة عراض رقاق ، والمراد حجارة القبر .

أبوء بذنبي

لقي جميل بثينة بعد تهاجر كان بينهما طالت مدته ، فتعاتبا طويلا ، فقالت له : ويحك يا جميل ! أتزعم أنك تهواني ، وأنت الذي تقول :

رمى الله ، في عيني بثينة ، بالقذى ، وفي الغر من أنيابها ، بالقوادح

فأطرق طويلا يبكي ثم قال : بل أنا القائل :

ألا ليتني أعمى أصم تقودني بثينة ، لا يخفى علي كلامها

فقالت له : ويحك ! ما حملك على هذه المنى ؟ أوليس في سعة العافية ما كفانا جميعاً ؟!

رمى اللهُ ، في عَينَي بُثينَةَ ، بالقَذى ، وفي الغُرِّ من أنْيابِها ، بالقَوادِحِ [١]
رَمَتْني بسهمٍ ، ريشُهُ الكُحلُ ، لم يَضِرْ ظواهِرَ جِلدي ، فهو في القلب جارِحي
ألا ليتني ، قبلَ الذي قلتِ ، شِيبَ لي من المُذعِفِ القاضي سِمامُ الذَّرارِحِ [٢]
فمتُّ ، ولم تُعلَمْ عليَّ خِيانَةٌ ، ألا رُبَّ باغي الرِّبْحِ ليسَ برابِحِ
فلا تَحْمِليها ، واجعلِيها جِنايَةً ، تروَّحتُ منها في مِياحَةِ مائِحِ [٣]
أبُوءُ بذَنْبي ، إنَّني قد ظَلَمْتُها ، وإني بباقي سِرِّها غيرُ بائِحِ [٤]

---

١ القوادح ، جمع قادح : وهو أكال يقع في الأسنان .
٢ شيب : خلط . المذعف : المهلك سريعاً . السمام : جمع السم . الذرارح ، جمع ذراح : وهي دويبة حمراء منقطة بسواد تطير ، وهي من السموم .
٣ تروحت : رحت في العشي . مياحة مائح : شفاعة شافع .
٤ أبوء بذنبي : أعترف به ، وأحتمله .

ألا يا غراب البين

ألا يا غُرابَ البينِ ، فيمَ تصيحُ ؟ فصوتُكَ مَشْنيٌّ إليّ ، قَبيحُ[1]
وكلَّ غداةٍ ، لا أبا لك ، تنتحي إليّ ، فتَلقاني ، وأنتَ مُشيحُ[2]
تحدثني أن لستُ لاقي نعمةٍ ، بَعِدْتَ ، ولا أمسى لدَيكَ نصيحُ ![3]
فإن لم تَهِجْني ، ذاتَ يومٍ ، فإنّه سيكفيكَ ورقاءُ السَّراةِ ، صَدُوحُ[4]

---

١ مشني : مكروه .
٢ مشيح : حذر .
٣ بعدت بكسر العين : هلكت .
٤ الورقاء : الحمامة . السراة : موضع .

شربة مريبة

هل الحائمُ العطشانُ مُسقًى بشُربةٍ ، من المُزْنِ ، تُروي ما به ، فتُريحُ ؟
فقالت: فنَخشى ، إن سقيناكَ شربةً ، تُخبّرُ أعدائي بها ، فتبوحُ
إذَنْ ، فأباحتني المنايا ، وقادني ، إلى أجَلي ، عَضْبُ السلاح ، سَفوحُ[1]
لَبِئسَ ، إذنْ ، مأوى الكريمةِ سِرُّها ، وإني ، إذَنْ ، من حبّكم ، لَصَحيحُ[2]

---

١ عضب السلاح : قاطعه ، وهو السيف .
٢ صحيح : أي صحيح القلب والجسم .

أصرم أم دلال ؟ *

أَمِنْ آلِ لَيْلَى تَغْتَدِي أمْ تَرَوَّحُ ... ولَلْمُغْتَدَى أمْضَى هموماً وَأسْرَحُ

ظَلِلْنا لدى لَيْلَى وظَلَّتْ رِكابُنا ... بأكْوارِها محبوسةٌ ما تُسَرَّحُ

إذا أنْتَ لم تَظْفَرْ بشيءٍ طلبتَهُ ... فبعضُ التَّأنّي في اللُّبانة أنْجَحُ

وقامتْ تَرَاءَى بعدما نامَ صُحْبَتِي ... لنا ، وسوادُ اللَّيْلِ قد كاد يَجْلَحُ[1]

بِذِي أُشَرٍ كالأقْحُوَانِ يَزِينُهُ ... نَدَى الطَّلِّ إلاّ أنّه هُوَ أمْلَحُ[2]

كأنّ خُزَامَى عالِجٍ في ثيابها ... بُعَيْدَ الكَرَى أو فأرَ مِسْكٍ تُذَبَّحُ[3]

كأنَّ الذي يَبْتَزُّهَا مِنْ ثِيابها ... على رملةٍ من عالِجٍ مُتَبَطِّحُ

وبالمِسْكِ تأتيكَ الجَنُوبُ إذا جرَتْ ... لك الخيرُ أم رَيّا بُثَيْنَةَ تَنْفَحُ ؟

من الخَفِراتِ البِيضِ خَوْدٌ كأنّها ... إذا ما مَشتْ شبراً من الأرض تُنْزَحُ[4]

مُنَعَّمَةٌ لو يَدْرُجُ الذَّرُّ بينَها ... وبينَ حَواشِي ثوبِها ظَلَّ يَجْرَحُ[5]

---

* هذه القصيدة ليست من الديوان وقد عثر بها الدكتور حسين نصار في منتهى الطلب .

١ تراءى لنا : تتصدى لنا لنراها . يجلح : يسفر وينكشف .

٢ أشر : أسنان صغيرة كأسنان المنجل ، وكانوا يحبون الأسنان الصغيرة المفلجة . الأقحوان : نبات له زهر أبيض ، وأوراق زهره مفلجة صغيرة .

٣ الخزامى : نبت زهره من أطيب الزهر . عالج : رمال . بعيد الكرى : لأنه الوقت الذي تفسد فيه روائح الأفواه ، أما هي فتحتفظ بطيب ريحها . فأر المسك : وعاؤه . تذبح : يريد تشق .

٤ الخفرات : الحييات أشد الحياء . الخود : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة .

٥ يدرج : يمشي أو يمشي متصعداً . الذر : صغار النمل ، والغبار المنتشر في الهواء .

إذا ضربتْها الريحُ في المِرْطِ أجْفَلَتْ — مَآكِمُها ، والرّيحُ في المِرْطِ أفْضَحُ[1]

ترى الزُّلَّ يَلْعَنَّ الرياحَ إذا جرتْ — وبَثْنَةُ إن هَبّتْ لها الرّيحُ تَفْرَحُ[2]

إذا الزُّلُّ حاذَرْنَ الرياحَ رأيتَها — من العُجْبِ لولا خشيةُ اللهِ تَمْرَحُ

وإنّي وإن لم تَسْمعِي لِمَقَالَتي — لأحْمَدُ نَفسِي في التّنَائي وأمْدَحُ

ويرتَاحُ قلبي والتَّنُوفَةُ بينَنا — لِذِكْراكِ أو ينهَلُّ دمعي فيَسْفَحُ[3]

وبَثْنَةُ قد قالتْ ، وكُلُّ حَدِيثِها — إليْنا ، ولو قالتْ بسُوءٍ ، مُمَلَّحُ

تقول : بَني عَمّي عليكَ أظِنَّةٌ — وأنتَ العَدُوُّ المُسْرِفُ المُتَنَطِّحُ

وقالت : عيونٌ لا تَزال مُطِلَّةً — علينا ، وحولي من عَدُوِّكَ كُشَّحُ[4]

إذا جئتَنا فانظُرْ بعيْنٍ جَلِيّةٍ — إليْنا ، ولا يَغْرُرْكَ مَنْ يتَنَصّحُ

رجالٌ ونِسوانٌ يَوَدُّون أنّني — وإيّاكِ نَخْزَى ،يابْنَ عَمّي ، ونُفْضَحُ

وقالت : تَعَلّمْ أنّ ما قلتَ باطلٌ — أيادي سَبَا منهن إنْ كنتَ تَمزَحُ

وحَوْلي نِساءٌ إنْ ذُكِرْتُ بِريبَةٍ — شَمِتْنَ ، وما مِنْهُنّ إلاّ سَيَفْرَحُ

وواللهِ ما يَدْرِي جميلُ بنُ مَعْمَرٍ — ألَيْلَى بقَوٍّ أم بُثَيْنَةُ أنْزَحُ[5]

---

١ المرط : كل ثوب غير مخيط . المآكم : جمع مأكم ومأكمة ، وهي لحمة على رأس الورك تصل بين العجز والمتن .

٢ الزل : جمع زلاء ، وهي الخفيفة العجز .

٣ التنوفة : المفازة ، أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف ، أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس .

٤ الكشح : الذين يخفون العداوة .

٥ قو : واد . أنزح : أبعد .

وِكلتاهُما أمْستْ ومِنْ دُونِ أهْلِها ... لِعُوجِ المَطَايا والقصائدِ مَسْبَحُ[1]

أمِنْ أجلِ أنْ عُجْنا قليلاً ولَمْ نَقُلْ ... لِلَيْلَى كلاماً، لا أبا لك ، تَكْلَحُ ؟

فَمُتْ كَمَداً أو عِشْ ذَميماً فإنّها ... جُيوبٌ لليلى تحفظُ الغيبَ نُصَّحُ[2]

سَلُوا الواجِدِينَ المُخْبِرِينَ عن الهوَى ... وذُو البَثِّ أحياناً يَبُوحُ فيُصْرِحُ

أتَقرَحُ أكبادُ المُحِبِّينَ كالذي ... أرَى كَبِدي مِنْ حُبِّ بَثْنَةَ يَقرَحُ

فوَاللهِ ثُمَّ اللهِ إنّي لَصادِقٌ ، ... لَذِكْرُكِ في قَلْبي ألَذُّ وأمْلَحُ

مِنَ النِّسْوَةِ السُّودِ اللَّوَاتي أمَرْنَني ... بِصُرْمِكِ ، إنّي من ورائكِ مِنْفَحُ[3]

لقد قُلْنَ ما لا ينبغي أن يَقُلْنَهُ ... ويَنْضَحْنَ جِلْداً لم يكنْ فيكِ يُنضحُ

بكى بَعْلُ لَيْلَى أن رأى القومَ عَرَّجُوا ... صُدورَ المَطايا، وَهْيَ في السَّيْرِ جُنَّحُ

ووَاللهِ ما أدْرِي : أصُرْمٌ تُرِيدُهُ ... بُثَيْنَةُ أمْ كانتْ بذلك تَمْزَحُ ؟

عَشيّةَ قالتْ: لا يَكُنْ لكَ حاجةٌ ، ... رأيتُكَ تأسُو باللّسانِ وتَجْرَحُ

فقلتُ : أصُرْمٌ أمْ دلالٌ ؟ وإن يكن ... دلالٌ فهَذا منكِ شيءٌ مُمَلَّحُ

إليَّ وإن حاولتِ صُرْمِي وهِجْرَتي ... فما قِبَلي مِنْ جانب الأرضِ أفْسَحُ

ألمْ تَعلَمي وَجدي إذا شَطَّتِ النَّوَى؟ ... وكنتُ إذا تَدْنُو بكِ الدارُ أفْرَحُ

فإنّي عَرَضْتُ الوُدَّ حتّى رَدَدْتِه ... وحتّى لَحَى فيكِ الصَّديقُ وكُشَّحُ

---

١ عوج المطايا : الضامر منها .

٢ يقال : هو ناصح الجيب ، أي القلب والصدر .

٣ الصرم : القطع . منفح : مدافع عنك .

فأشْمَتَّ أعْدائي ، وسيءَ بما رأى صَديقي ،ولا في مَرْجعٍ كنتُ أكْدَحُ

فهَلاّ َسألتِ الرَّكْبَ حين يَلُفُّني وإيّاهُمُ خَرْقٌ من الأرضِ أفْيَحُ[1]

أأكْرِمُ أصْحابي وأبْذُلُ ذا يَدي وأعْرِضُ عن جَهْلِ الصّديقِ وأصْفحُ؟

وأُكْثِرُ قولاً والحَبيبُ مُوَكَّلٌ ، سقى أهلَ جُمل حيثُ أمسوْا وأصبْحوا

أجَشُّ هَزيمُ الرَّعدِ دانٍ رَبابُهُ له هَيْدَبٌ جَمٌّ العَثانِينِ رُجَّحُ[2]

ذكرتُكِ يومَ النَّحر ، يا بَثْنُ ، ذِكْرَةً على قَرَنٍ والعِيسُ بالقَوْمِ جُنَّحُ[3]

عَواطِفَ بالعَيْنَيْنِ بينَ مُسِرَّةٍ لَقاحاً وأخْرَى حائلٍ تَتَلَقَّحُ

دُهِنَّ بأسْقاطِ اللُّغَامِ كأنَّهُ إذا قَطَّعَتْهُ الرِّيحُ قَزٌّ مُسَرَّحُ[4]

ويومَ وَرَدْنا قُرْحَ هاجتْ لِيَ البُكا مِنَ الوُرْقِ حَمّاءُ العِلاطَينِ تَصْدَحُ[5]

ويَوْمَ وَرَدْنا الحِجْرَ ،يا بَثْنُ ، عادني لكِ الشَّوقُ حتّى كِدتُ باسمكِ أُفصِحُ[6]

وليلَةَ بِتْنا بالجُنَيْنَةِ هاجَني سَنَا بارقٍ من نحوِ أرضِكِ يَلْمَحُ

---

١ الخرق : الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . الأفيح : الواسع .
٢ الأجش : الغليظ الصوت ، يصف المطر . الرباب : السحاب الأبيض . الهيدب : الحواشي . العثانين : جمع عثنون ، وهو أول المطر ، أو ما بين السماء والأرض منه ، أو المطر عامة . الرجح : الثقيلة الممتلئة ماء .
٣ قرن : جبل . العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة .
٤ المنتهى : وهن ، تحريف . الأسقاط : جمع سقط ، وهو ما أسقط . اللغام : الزبد . القز : الحرير . المسرح : المرسل .
٥ قرح : وادي القرى أو سوقها . الورق : الحمام . حماء : سوداء . العلاط : صفحة العنق .
٦ الحجر : أرض ثمود .

قَعَدْتُ له والقومُ صَرْعَى كأنَّهمْ   لدى العِيسِ بالأكوارِ خُشْبٌ مُطَرَّحُ
أُراقِبُهُ حتّى بَدَا مُتَبَلِّجٌ   مِنَ الصُّبحِ مشهورٌ وما كدتُ أُصْبِحُ
وليلةَ بِتْنا ذاتَ حاجٍ ذكرتُكُمْ   هُدُوّاً وقد نامَ الخَلِيُّ المُصَحِّحُ[1]
وبِتُّ كَئِيباً لادّكاري وصُحْبَتي   على مَشْرَعٍ فانهلَّتِ العَيْنُ تَسْفَحُ
ويَوْمَ مَعانٍ قال لي فَعَصَيْتُهُ :   أفِقْ عَنْ بُثَيْنَ ، الكاشِحُ المُتَنَصِّحُ
ويَوْمَ نَزَلْنا بالحِبالِ عَشِيَّةً   وقد حُبِسَتْ فيها الشَّراةُ وأذْرُحُ[2]
ذكرتُكُمُ فانْهلَّتِ العَيْنُ إنّها   إذا لم يكن صبرٌ أخَفُّ وأرْوَحُ
وليلةَ عَرَّسْنا بأوْدِيَةِ الغَضَا   ذكرتُكِ ، إنّ الحُبَّ داءٌ مُبَرِّحُ
ويَوْمَ تَبُوكٍ كِدتُ من شِدّةِ الأسَى   عَلَيْكِ بما أُخْفي منَ الوَجْدِ أُصْرِحُ

---

١ ذات حاج : موضع . هدواً : أي بعد أن هدأ الليل وسكنت الأصوات فيه .

٢ الحبال : الكثبان الرملية المستطيلة . الشراة : من أداني الشام بفلـ...
يريد غابت وراء هذه الكثبان الرملية .

حرف الدال

يموت الهوى مني

ألا ليتَ رَيعانَ الشَّبابِ جَديدُ ، ودَهراً تولّى ، يَا بُثَيْنَ ، يَعودُ
فنَبْقى كمَا كُنّا نَكونُ ، وأنتمُ قَريبٌ ، وإذ مَا تَبذُلِينَ زهِيدُ
وما أنسَ ، مِ الأشياء ، لا أنسَ قولها وقد قُرّبتْ نِضوي : أمصرَ تريدُ ؟[1]
ولا قولَها : لولا العيونُ التي تَرى ، لزُرتُكَ ، فاعذِرْني ، فدَتكَ جُدودُ
خليليّ ، ما ألقَى من الوجدِ باطنٌ ، ودمعي بما أُخفي ، الغَداةَ ، شَهيدُ
ألا قد أرى ، واللهِ ، أنْ رُبّ عَبرةٍ ، إذا الدارُ شَطّتْ بَيْنَنا ، ستَزيدُ[2]
إذا قلتُ : مَا بي يَا بُثَيْنَةُ قاتِلي ، مِنَ الحبّ ، قالت : ثابتٌ ، ويزيدُ
وإن قلتُ : رُدّي بعضَ عقلي أعِشْ بهِ ! تولّتْ وقَالَتْ : ذاكَ منكَ بعيدُ !
فَلا أنَا مَرْدودٌ بما جئتُ طالباً ، ولا حُبُّهَا فيمَا يَبيدُ يَبيدُ
جزَتكِ الجوازي ، يا بُثَينَ ، سلامةً ، إذا مَا خَليلٌ بانَ وَهوَ حَميدُ[3]

---

[1] م الأشياء : أي من الأشياء . استعملت في الشعر . نضوي : أي ناقتي الهزيلة .

وقلتُ لها : بَيْني وبينكِ ، فاعْلَمي ، مِنَ اللهِ مِيثاقٌ لَهُ وعُهودُ
وقَد كانَ حُبُّيكُمْ طَرِيفاً وتالداً ، ومَا الحُبُّ إلاّ طَارِفٌ وتَلِيدُ[1]
وإنّ عَرُوضَ الوصلِ بَيْني وبينهَا ، وإنْ سَهَّلَتْهُ بالمُنى ، لَكَؤودُ[2]
وأفنيتُ عُمري بانْتظارِيَ وَعدَها ، وأبلَيتُ فيها الدّهرَ وَهوَ جَديدُ
فليتَ وُشاةَ الناسِ ، بَيْني وبَينها ، يَدوفُ لهُم سُمّاً طماطِمُ سُودُ[3]
وليتهمُ ، في كلّ مُمسًى وشَارقٍ ، تُضاعَفُ أكبَالٌ لهم وقُيودُ[4]
ويحسَبُ نِسوانٌ مِنَ الجهلِ أنّني إذا جِئتُ ، إيّاهنّ كنتُ أُريدُ
فأقسِمُ طَرفي بَينهنّ فيستوي ، وفي الصّدْرِ بَوْنٌ بَينهنّ بَعيدُ
ألا لَيتَ شِعري ، هَل أبيتنّ ليلةً بوادي القُرى ؟ إني إذَنْ لَسعيدُ ![5]
وهل أهبِطَنْ أرضاً تظَلُّ رياحُها لهَا بالثّنايَا القَاوِياتِ وئِيدُ ؟[6]
وهل ألقَيَنْ سُعدى من الدّهرِ مرّةً ، وما رَثّ مِنْ حَبلِ الصّفاءِ جديدُ ؟
وقَد تَلتقي الأشتاتُ بَعد تفرُّقٍ ، وقد تُدرَكُ الحَاجَاتُ وهي بعِيدُ

* * *

---

١ طارف وتليد : حديث وقديم .
٢ العروض : الطريق في عرض الجبل في مضيق .
٣ يدوف : يخلط ويبل . الطماطم : الذين في لسانهم عجمة ، واحدهم طمطم .
٤ الأكبال ، جمع كبل : وهو القيد العظيم .
٥ وادي القرى : موضع قرب المدينة كان يقيم فيه جميل وبثينة .
٦ الثنايا ، جمع الثنية : وهي العقبة أو طريقها . القاويات : الخاليات . الوئيد : الصوت العالي الشديد .

وهل أزْجُرَنْ حَرْفاً عَلاةً شِمِلّةً بخَرْقٍ ، تُباريها سَواهِمُ قُودُ [1]
على ظهرِ مرهوبٍ ، كأنّ نُشوزَهُ ، إذا جَازَ هُلاّكُ الطّريقِ ، رُقُودُ [2]
سبتني بعَيْنَيْ جُؤذُرٍ وَسْطَ رَبربٍ ، وصَدرٌ كفاثُورِ اللُّجَينِ ، وجِيدُ [3]
تَزيفُ كمَا زَافتْ إلى سَلِفاتِها مُباهِيةٌ ، طيَّ الوشاحِ ، مَيودُ [4]

* * *

إذا جئتُها ، يوماً من الدهرِ ، زائراً ، تعرّضَ منفوضُ اليدينِ ، صَدودُ [5]
يصُدُّ ويُغضي عَن هوَايَ ، ويجتَني ذُنُوباً عَلَيها ، إنّهُ لَعَنودُ !
فأصرِمُها خَوفاً ، كأني مُجانِبٌ ، ويَغفُلُ عَنّا مَرّةً ، فَنعودُ
ومن يُعطَ في الدنيا قريناً كمِثلِها ، فذلكَ في عيشِ الحَياةِ رَشيدُ [6]
يموتُ الهوَى مِني إذا مَا لقِيتُها ، ويحيَا ، إذَا فَارقتُها ، فَيعودُ
يقولون: جاهِدْ ، يا جميلُ ، بغَزوةٍ ، وأيَّ جِهادٍ ، غيرهنّ ، أُريدُ !
لكُلّ حَديثٍ بَينَهن بشَاشَةٌ ، وكُلُّ قَتيلٍ عندهنّ شَهيدُ

---

١ الحرف : الناقة الضامرة . العلاة : الناقة المشرفة . الشملة : الناقة السريعة . الخرق : الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . السواهم : النوق الضوامر . القود : المذللة ، واحدها أقود وقوداء .
٢ مرهوب : أي مكان أو طريق مرهوب . النشوز ، جمع نشز : وهو المكان المرتفع . الهلاك : المنتجعون الذين ضلوا الطريق . رقود : نيام ، أي كأن النشوز قوم نيام .
٣ الفاثور : الطست . اللجين : الفضة .
٤ تزيف : تتبختر في مشيتها . سلفاتها : نساء إخوة زوجها .
٥ المنفوض : من أصابته رعدة الحمى ، وهنا الرعدة من الغضب والغيرة ، والمراد به زوجها .
٦ قريناً : أي زوجة .

وأحسنُ أيّامي ، وأبهجُ عيشَتي ، إذا هيجَ بي يَوْماً وهُنّ قُعودُ
تذكّرتُ ليلى ، فالفؤادُ عَميدُ ، وشطّتْ نَواهَا ، فالمَزَارُ بَعيدُ [1]
عَلِقْتُ الهوَى مِنها وَليداً ، فلم يَزَلْ إلى اليومِ يَنمي حُبُّها وَيَزيدُ
فما ذُكِرَ الخُلاّنُ إلاّ ذكرتُها ، ولا البُخلُ إلاّ قلتُ سَوفَ تجودُ
إذا فكّرتْ قالت : قد أدركتُ وُدّهُ ، وما ضرّني بُخلي ، فكيف أجودُ !
فلو تُكشَفُ الأحشاءُ صودِفَ تحتها ، لِبَثْنَةَ ، حُبٌّ طارفٌ وتَليدُ
ألَمْ تعلمي يا أمّ ذي الوَدْعِ أنّني أُضاحِكُ ذِكراكُمْ ، وأنتِ صَلودُ ؟ [2]
فهلْ ألقَيَنْ فَرداً بُثَيْنَةَ ليلَةً ، تجودُ لَنا مِنْ وُدّها وَنجودُ ؟
ومن كان في حبي بُثينةَ يَمتَري ، فبَرقاءُ ذي ضالٍ عليّ شَهيدُ [3]

---

١ العميد : العاشق الذي هده العشق .

٢ الودع ، وتفتح الدال : خرز بيض تخرج من البحر شقها كشق النواة تعلق في عنق الولد لدفع العين . صلود : بخيلة جداً .

٣ يمتري : يشك . البرقاء : غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة . الضال : شجر أو هو السدر البري . وهو هنا موضع بعينه ذكره ياقوت واستشهد بشعر جميل ، وكان جميل وبثينة يجتمعان فيه .

أفي الناس أمثالي ؟

ألم تسألِ الدارَ القَديمةَ : هَل لهَا بأمّ حسينٍ ، بعد عهدكَ ، من عَهدِ ؟[1]
سلي الرّكبَ: هل عُجنا لمَغناكِ مرّةً صُدورَ المطايا ، وهي مُوقَرةٌ تَخدي ؟
وهل فاضتِ العينُ الشَّروقُ بمائِها ، من آجلكِ ،حتى اخضلَّ من دمعها بُردي
وإني لأستَجري لكِ الطيرَ جاهِداً ، لتجري بيُمْنٍ من لقائكِ أو سَعْدِ
وإني لأستبكي ، إذا الرّكبُ غَرّدوا بذكراكِ ، أن يحيا بكِ الركبُ إذ يحدي
فهل تَجزِيَنّي أمُّ عمرٍو بودّهَا ، فإنّ الذي أُخفي بها فوقَ ما أُبدي
وكلّ مُحِبٍّ لم يزدْ فوق جُهدِهِ ، وقد زِدتُها في الحبّ منّي على الجُهدِ[2]
إذا ما دَنَتْ زِدتُ اشتياقاً ، وإن نأتْ جَزِعتُ لنأي الدار مِنها وللبُعدِ
أبى القلبُ إلاّ حُبَّ بَثنةَ لم يُردْ سواها ، وحبُّ القلب بَثنةَ لا يُجدي
تعلّقَ روحي روحَها قبل خَلقِنا ، ومن بعد ما كُنّا نِطافاً وفي المهدِ
فزاد كمَا زدنا ، فأصبحَ نامياً ، وليسَ إذا متنا بِمُنتقَضِ العهدِ
ولكنّه باقٍ على كلّ حالةٍ ، وزائِرُنا في ظُلمةِ القبرِ واللحدِ

---

١ أم حسين : كنية أخت بثينة ، أو هي أم الجسير على اختلاف روايات الأغاني . وكان جميل يشبب بها قبل أن يعشق بثينة . وكذلك بنت خالة بثينة تكنى أم حسين وكانت رفيقتها ونجيتها . ورواية البيت في الأغاني أم جسير .

٢ الجهد : الطاقة .

وما وجدتْ وجدي بها أمٌّ واحدٍ ، ولا وَجَدَ النّهديُّ وجدي على هندِ[1]
ولا وَجَدَ العُذريُّ عُروةُ ، إذ قضى ، كوجدي ، ولا من كان قبلي ولا بعدي[2]
على أنّ منْ قد ماتَ صادفَ راحةً ، وما لِفؤادي مِنْ رَواحٍ ولا رُشدِ
يكاد فَضِيضُ الماءِ يَخدِشُ جِلدَها ، إذا اغتسلتْ بالماء ، من رِقّةِ الجِلدِ[3]
وإنّي لَمُشتاقٌ إلى ريح جيبِهَا ، كما اشتاقَ إدريسٌ إلى جنّةِ الخُلدِ[4]
لقد لامَنّي فيها أخٌ ذُو قرابةٍ ، حبيبٌ إليه ، في مَلامتِه ، رُشدي
وقال : أفِقْ ، حتى متَى أنت هائمٌ ببَثْنةَ ، فيها قد تُعيدُ وقد تُبدي ؟
فقلتُ له : فيها قضى اللهُ مَا تَرى عليّ ، وهَلْ فيما قضى الله من ردٍّ ؟
فإن كان رُشداً حُبُّها أوْ غَوايةً ، فقَد جئتُه مَا كانَ منّي على عَمْدِ
لقَد لَجّ ميثَاقٌ مِنَ اللهِ بَينَنا ، وليس ، لمن لم يوفِ للهِ ، من عَهْدِ
فلا وأبيها الخيرِ ، ما خُنْتُ عهدَها ، ولا ليَ عِلْمٌ بالذي فعلتْ بَعدي
ومَا زادَها الواشُونَ إلاّ كَرامةً عليّ ، ومَا زالتْ مودّتُها عندي
أفي النّاس أمثالي أحبَّ ، فحَالُهم كحاليَ ، أم أحببتُ من بينهم وحدي؟

---

١ النهدي : هو عبد الله بن عجلان النهدي شاعر جاهلي ، وأحد المتيمين من الشعراء الذين قتلهم الحب ، وكان يشبب بصاحبته هند .
٢ عروة : هو عروه بن حزام العذري أحد عشاق العرب المشهورين ، كان في زمن معاوية ، أحب ابنة عمه عفراء بنت مالك ، وتغزل بها في شعره ، ولم يزوجه عمه فمات مسلولا .
٣ الفضيض : ما انتشر من الماء إذا اغتسل به .
٤ الجيب : طوق القميص . إدريس : هو أخنوخ في التوراة .

وهَلْ هكذا يَلقَى المُحبّونَ مثلَ مَا لقيتُ بها، أم لم يَجدْ أحدٌ وجدي ؟
يغورُ ، إذا غارت، فؤادي، وإن تكُن بنجدٍ ، يَهِمْ منّي الفؤادُ إلى نجدِ[1]
أتَيتُ بَني سَعْدٍ صَحيحاً مُسلَّماً ، وكانَ سَقامَ القلبِ حُبُّ بني سعدِ

---

١ يغور : يأتي الغور من تهامة .

حوضُ العشاق

وعاذِلينَ ألَحُّوا في محبّتها ، يا ليتَهم وجَدوا مثلَ الذي أجِدُ !
لمّا أطالوا عتابي فيكِ ، قلتُ لهم : لا تُكثِرُوا ، بعضَ هذا اللوم ، واقتصِدوا
قَد مَاتَ قبلي أخو نهدٍ ، وصَاحِبُهُ مُرَقَّشٌ ، واشتفى من عُروةَ الكمَدُ [1]
وكلُّهم كانَ مِنْ عشقٍ منيّتُهُ ، وقد وجَدتُ بها فوقَ الذي وجَدوا
إني لأحسَبُ ، أو قد كدتُ أعلمُهُ ، أنْ سوفَ تُورِدني الحوضَ الذي وَرَدوا
إن لم تَنلني بمعروفٍ تجودُ به ، أو يدفَعَ اللهُ عنّي الواحدُ الصَّمَدُ
فَما يضرُّ امرأً ، أمسَى وأنتِ لهُ ، أنْ لا يكونَ من الدنيا لهُ سنَدُ

---

١ أخو نهد : هو عبد الله بن عجلان النهدي ، شاعر جاهلي ، وأحد العشاق الذين قتلهم الحب ، وكان يشبب بصاحبته هند . المرقش : ويعرف بالمرقش الأكبر ، وهو من بني بكر بن وائل ، شاعر جاهلي ، أحب ابنة عمه أسماء ، فأبعده عمه عنها ، ومات بحبها . عروة : هو عروة بن حزام العذري أحد عشاق العرب المشهورين كان في زمن معاوية ، أحب ابنة عمه عفراء ، ولم يزوجه عمه ، فمات بحبها مسلولا .

نداء الغراب

رحلَ الخَليطُ جِمالَهم بِسَوادِ ، وحَدا ، عَلى إثرِ الحَبيبةِ ، حادِ[1]
ما إن شعَرْتُ ، ولا علمتُ ببينهم ، حتى سَمعتُ بهِ الغُرابَ يُنادي
لمّا رأيتُ البينَ ، قلتُ لصَاحبي : صَدَعَتْ مُصَدِّعَةُ القلوب فؤادي
بانوا ، وغُودِرَ في الدّيارِ مُتيَّمٌ ، كَلِفٌ بذكركِ ، يا بُثينةُ ، صادِ

---

١ بسواد : بليل .

خوف الكاشحين

تذكّرَ منها القلبُ ، ما ليس ناسياً ، مَلاحةَ قولٍ ، يومَ قالتْ، ومعهَدا :
فإن كنتَ تهوى أوْ تُريدُ لقاءنَا ، على خَلوةٍ ، فاضربْ، لنا منكَ،موعدا
فقلتُ ، ولم أملِكْ سوابِقَ عَبْرةٍ : أأحسنُ ، من هذي العشيّةِ ، مَقعدا ؟
فقالت : أخافُ الكاشِحينَ ، وأتّقي عيوناً ، من الواشينَ ، حوليَ، شُهَّدا

منية واحدة

يُكذّبُ أقوالَ الوُشاةِ صدودُها ، ويحتازُها عني ، كأنْ لا أُريدُها
وتحتَ مجاري الدّمع منّا مودّةٌ ؛ تُلاحِظُ سِرّاً ، لا يُنادي وَليدُها
رفعتُ عن الدُّنيا المُنَى غيرَ وُدّها ، فما أسألُ الدُّنيا ، ولا أستزيدُها !

أوجه الناس

ليت شِعري ، أجَفوةٌ أم دَلالٌ ، أم عدوٌّ أتَى بُثَيْنَةَ بَعدي
فمُرِيني ، أُطِعْكِ في كلّ أمرٍ ، أنتِ ، واللهِ ، أوجَهُ الناس عندي !

لا تعجب

أتعجَبُ أنْ طَرِبْتُ لصوتِ حادٍ ، حَدا بُزْلاً يَسِرْنَ ببطن وادِ ؟[1]
فلا تعجَبْ ، فإنّ الحُبَّ أمسى ، لِبَثنةَ ، في السّوادِ من الفُؤادِ[2]

---

١ البزل : الإبل .
٢ السواد : حبة القلب .

طالما رضينا

قِفي، تَسَلْ عنكِ النفسُ بالخطّةِ التي　　تُطِيلِينَ تَخويفي بها ، ووعيدي
فقد طالما ، من غيرِ شَكوى قبيحةٍ ،　　رضِينا بحُكمٍ مِنكِ غيرِ سَديدِ

مدح وهجاء

هجا جعفر بن سراقة أحد بني قرة بني عذرة ، فاتقاه جميل ، وعلم أنه سيعلو عليه ، ورأى أن يدفع هجاءه بمدحه ، فمدحه وهجا بني عامر وبني لأي . وكانت بنو عامر قد قلت فحالفت لأياً فقال جميل :

بني عامرٍ ، أنّى انتَجعتُم وكنتمُ ،　　إذا حُصّلَ الأقوامُ ، كالخُصْيَةِ الفَرْدِ
فأنتم ولأيٌ مَوضِعَ الذُّلّ حَجْرَةً ،　　وقُرّةُ أولى بالعَلاءِ وبالمجدِ[1]

---

١ حجرة : ناحية .

أحب المخازي

كان عمير بن رمل شاعراً من بني الأحب رهط بثينة ، فهجا جميلا لاشتهارها بحبه إياها ، فقال فيه جميل :

إذا الناسُ هابوا خَزيةً ، ذهبتْ بها — أحَبُّ المخازي : كَهلُها ووليدُها
لَعَمْرُ عَجوزٍ طَرّقَتْ بك إنني ، — عُميرَ بنَ رَملٍ ، لابنُ حربٍ أقودُها[1]
بنفسي ، فلا تقطَعْ فؤادَك ضِلّةً ، — كذلك حَزني : وَعثُها وصُعُودُها[2]

---

١ طرقت المرأة : إذا كانت ولادتها عسرة ، فيعلق ولدها ولا يسهل خروجه .

٢ الحزن : ضد السهل . الوعث : الطريق العسر .

أقود من شئت

كان جميل مع الوليد بن عبد الملك في سفر ، والوليد على نجيب ، فقال الوليد لجميل : انزل فارجز . وظن الوليد أنه يمدحه . فنزل جميل يرجز ويفتخر . فقال له الوليد : اركب ، لا حملك الله ! وفي ذلك قول جميل :

أنا جَميلٌ في السَّنامِ من مَعَدّ ، في الذُّروَةِ العَلياء ، والرُّكن الأشدّ[1]
والبيتِ من سَعدِ بن زيدٍ والعَدَدْ ، ما يبتغي الأعداءُ منّي ، ولقَدْ
أضْرِيَ بالشّتمِ لساني ومَرَدْ ، أقودُ مَن شئتُ ، وصَعبٌ لم أُقَدْ[2]

---

١ في السنام : أي في المكان العالي .
٢ أضري : ألهج مرد : أقدم وعتا ، فهو مارد ومتمرد .

تلكم بثينة *

حَلَّتْ بُثَيْنَةُ مِنْ قَلْبِي بِمَنْزِلَةٍ   بينَ الجَوَانحِ لم يَنْزِلْ بها أَحَدُ
صادتْ فؤادِي بِعَيْنَيها ومُبْتسمٍ   كأنّهُ حينَ أبْدَتْهُ لنا بَرَدُ
عَذْبٍ كأنّ ذَكِيَّ المِسْكِ خالَطَهُ   والزَّنْجَبِيلُ وماءُ المُزْنِ والشَّهَدُ
وجيدِ أدْمَاءَ تَحْنُوهُ إلى رَشَإٍ   أغَنَّ لَمْ يَتَّبِعْها مِثْلَهُ وَلَدُ[1]
رَجْرَاجةٌ رَخْصَةُ الأطْرافِ ناعمةٌ   تكادُ من بُدْنِها في البيتِ تَنْخَضِدُ
خَدْلٌ مُخَلْخَلُها وَعْثٌ مُؤزَّرُها   هَيْفاءُ لم يَغْذُها بُؤسٌ ولا وَبَدُ[2]
هيفاءُ مُقْبِلَةً عَجْزاءُ مُدْبِرَةً ،   تَمّتْ فليسَ يُرَى في خَلْقِها أَوَدُ
نِعْمَ لِحافُ الفتى المَقْرُورِ يَجْعَلُهَا   شِعارَهُ حينَ يُخْشَى القُرُّ والصَّرَدُ[3]
وما يَضُرُّ امرأً يُمْسِي وأنتِ لَهُ   ألّا يكونَ مِنَ الدُّنْيا له سَبَدُ[4]

---

* هذه القصيدة ليست من الديوان وقد عثر بها الدكتور حسين نصار في منتهى الطلب .

١ الجيد : العنق . الأدماء : الظبية المشربة بياضاً . الرشأ : ابنها . الأغن : الظبي الذي يخرج صوته من خياشيمه .

٢ خدل : ممتلىء . مخلخلها : موضع الخلخال من قدميها . الوعث : المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام ، شبه عجيزتها به لكبرها . المؤزر : العجز . الوبد : شدة العيش وسوء الحال .

٣ المقرور : الذي أصابه البرد . الشعار : اللباس الذي يلي شعر الجسد مباشرة . الصرد والقر : البرد .

٤ السبد : القليل من الشعر ، يقال : ما له سبد ولا لبد ، أي ما له قليل ولا كثير .

يا لَيْتَنا ، والمُنى ليستْ مُقَرَّبَةٌ ، أنّا لقيناكِ والأحْراسُ قد رَقَدُوا
فَيَسْتَفِيقَ مُحِبٌّ قَد أضَرَّ بِهِ شَوقٌ إليْكِ ويُشْفَى قلبُهُ الكَمِدُ
تِلْكُمْ بُثَيْنَةُ قد شَفَّتْ مودَّتُها قلبي ، فَلَمْ يبقَ إلاّ الرُّوحُ والجَسَدُ

لا رادّ لقضاء الله *

لقد لامني فيها أخٌ ذو قَرابةٍ حبيبٌ إليه في نَصيحتِهِ رُشْدِي

فقال : أفِقْ حتّى متى أنتَ هائمٌ ببَثْنَةَ فيها لا تُعيدُ ولا تُبْدِي؟

فقلتُ لَهُ : فيها قَضى اللهُ ما ترى عليّ ؛ وهل فيما قضَى اللهُ مِنْ رَدٍّ ؟

فإنْ يَكُ رُشْداً حبُّها أو غَوَايةً فقد جئتُه ، وما كان مني على عَمْدِ

بُثَيْنَ أثِيبِي بالمودّةِ أوْ رُدِّي فؤادي فقد نُجْزِي المودة بالوُدِّ

أفي النّاسِ أمثالي أحبُّوا فحبُّهُمْ كحُبِّيَ أمْ أحببتُ من بينهم وحْدي؟

فلَمْ أرَ مِثْلَ النّاسِ لم يَغْلِبوا الهوَى ولم أرَ داءً كالهَوَى كيف لا يُعْدي ؟

أكان كذا يَلْقى المحبُّون قبلَنا بما وَجِدوا أو لم يَجِدْ أحدٌ وَجْدِي؟

فقد جَدَّ ميثاقُ الإلَهِ بحبِّها وما للّذي لا يتّقي اللهَ من عَهْدِ

فلا وأبيها الخيرِ ما خُنْتُ عهدَها ولا ليَ عِلْمٌ بالّذي فعلتْ بَعْدي

وما زادها الواشون إلاّ كرامةً عليّ ، وما زالتْ مَوَدّتُها عِنْدي

تَزيدُ نماءً كُلَّ يَوْمٍ وليلةٍ وأمْنَحُها فيما أُسِرُّ وما أُبْدِي

إذا صَقَبَتْ زدتُ اشتياقاً ، وإن نأتْ أرِقْتُ لبَيْنِ الدّارِ منها وللبُعْدِ

---

* هذه القصيدة ليست من الديوان وقد عثر بها الدكتور حسين نصار في منتهى الطلب .

أبَى القلبُ إلاّ حُبَّ بَثْنَةَ ، لم يُرِدْ   سِوَاها ، وحُبُّ القلبِ بَثْنَةَ لا يُجدِي

سَبَتْكَ بمَصْقُولٍ تَرِفُّ أشُورُهُ   إذا ابتسمتْ في طيبِ ريحٍ وفي بَرْدِ[1]

كأنّ عتيقَ الرّاحِ خالَطَ رِيقَها   وَصَفْوَ غريضِ المُزْنِ صُفِّقَ بالشَّهْدِ[2]

تَأرَّجُ بالمِسْكِ الأحَمِّ ثِيابُها   إذا عَرِقَتْ فيها وبالعَنْبرِ الوَرْدِ[3]

---

١ الأشور : أسنان المنجل ، شبه بها أسنان حبيبته لصغرها وتفلجها .

٢ الراح : الخمر . الغريض : ماء المطر . المزن : السحاب ، أو الأبيض أو ذو الماء منه . صفق : مزج .

٣ الأحم : الأسود . الورد : الذي بلون الورد .

حرف الراء

مسحور

خليليّ ، عُوجَا اليومَ حتّى تُسَلِّما على عَذبةِ الأنيابِ ، طيّبةِ النّشرِ[1]
فإنّكما إن عُجتما ليَ ساعةً ، شكرتُكما ، حتى أُغيَّبَ في قبري
ألِمّا بها ، ثمّ اشفَعا لي ، وسَلِّما عليها ، سقاها اللهُ من سائغِ القَطرِ !
وبوحا بذكري عند بَثنةَ ، وانظُرا أترتاحُ يوماً أم تَهَشُّ إلى ذكري
فإن لم تكنْ تقطعْ قُوى الودّ بيننا ، ولم تنسَ ما أسلفتُ في سالفِ الدهرِ[2]
فسوف يُرى منها اشتياقٌ ولوعةٌ ببَينٍ ، وغَربٌ من مَدامعِها يجري[3]
وإن تكُ قد حالتْ عن العهدِ بَعدنا ، وأصْغَتْ إلى قولِ المؤنِّبِ والمُزري
فسوف يُرى منها صدودٌ ، ولم تكن ، بنفسيَ ، من أهل الخيانةِ والغَدرِ
أعوذ بكَ اللّهُمّ أن تَشحَطَ النّوَى ببثنةَ في أدنى حياتي ولا حَشْري[4]

---

١ النشر : الرائحة المنتشرة .
٢ تقطع : هكذا وردت بالتسكين ، وهذا قد يقع عندهم . القوى: طاقات الحبل .
٣ الغرب : الدمع ، أو انهلاله من العين .
٤ تشحط : تبعد .

وجاوِر ، إذا ما متُّ ، بيني وبينها ، فيا حبّذا موتي إذا جاورت قبري !
عدِمتُكَ من حُبٍّ ، أما منكَ راحةٌ ، وما بكَ عنّي من توانٍ ولا فَتْرِ ؟
ألا أيّها الحُبُّ المُبَرِّحُ ، هل ترى أخا كلَفٍ يُغرى بحُبٍّ كما أُغري ؟[1]
أجِدَّكَ ، لا تَبْلى ، وقد بلِيَ الهوى ، ولا ينتهي حُبّي بُثَينةَ للزّجْرِ
هي البدرُ حُسناً ، والنساءُ كواكبٌ ، وشتّانَ ما بين الكواكب والبدرِ !
لقد فُضّلَتْ حُسناً على الناس مثلما على ألْفِ شهرٍ فُضّلتْ ليلةُ القَدرِ
عليها سَلامُ اللهِ من ذي صَبابةٍ ، وصبٍّ مُعَنًّى بالوساوِس والفِكْرِ
وإنّكما ، إن لم تَعُوجا ، فإنّني سأصرف وجدي ، فأذنا اليومَ بالهَجرِ
أيَبكي حَمامُ الأيكِ من فَقد إلفهِ ، وأصبِرُ ؟ ما لي عن بُثينةَ من صبرِ !
وما ليَ لا أبكي ، وفي الأيك نائحٌ ، وقد فارقتني شَخْتَةُ الكَشْحِ والخصرِ[2]
يقولون : مسحورٌ يُجَنّ بذِكرِها ، وأُقسم ما بي من جُنونٍ ولا سِحرِ !
وأُقسِمُ لا أنساكِ ما ذَرَّ شارقٌ ، وما هبّ آلٌ في مُلمَّعَةٍ قَفرِ[3]
وما لاحَ نجمٌ في السماء مُعلّقٌ ، وما أورقَ الأغصانُ من فَنَنِ السِّدْرِ[4]
لقد شُغِفَتْ نفسي ، بُثينَ ، بذِكركم ، كما شُغِفَ المخمورُ ، يا بَثْنَ ، بالخمرِ

---

١ كما أغري : أي كما أغري بالحب نفسي .
٢ الشختة : الدقيقة الضامرة .
٣ الآل : ما يرى كالسراب . الململمة : الفلاة يلمع فيها السراب .
٤ السدر : شجر النبق .

ذكرتُ مَقامي ليلةَ البانِ قابضاً ... على كفِّ حَوراءِ المدامعِ كالبَدرِ
فكِدتُ ، ولم أملِكْ إليها صَبابَةً ، ... أهيمُ ، وفاضَ الدمعُ مني على نحري
فيا ليتَ شِعْري هلْ أبيتنّ ليلَةً ... كليلتنا ، حتى نرى ساطِعَ الفجرِ ؟
تجودُ علينَا بالحديثِ ، وتَارَةً ... تجودُ عَلينا بالرُّضابِ من الثغرِ
فيا ليتَ ربِّي قد قضى ذاكَ مرّةً ، ... فيعلمَ ربّي عند ذلك ما شُكري
ولو سألتْ مني حَياتي بذلتُها ، ... وجُدْتُ بها ، إنْ كان ذلك من أمري
مضى لي زمانٌ ، لو أُخيَّرُ بينه ، ... وبَين حَياتي خالداً آخِرَ الدّهرِ
لقلتُ : ذَرُوني ساعةً وبُثينَةً ... على غَفلةِ الواشينَ، ثم اقطعوا عُمري
مُفَلَّجةُ الأنيابِ ، لو أنّ ريقَها ... يداوى به الموتى ، لقاموا به من القبرِ[1]
إذا ما نظمتُ الشِّعرَ في غيرِ ذكرها ، ... أبَى ، وأبيها ، أن يطاوِعَني شِعري
فلا أُنعِمتْ بعدي ، ولا عِشتُ بعدها ، ... ودامت لَنا الدنيا إلى مُلتقَى الحَشرِ

---

١ مفلجة الأنياب : إذا كانت أنيابها متباعدة غير متراكبة .

الغريم المحبوب

تخلفت بثينة عن لقائه مرة مخلفة وعدها فقال :

يا صاحِ ، عن بعضِ الملامةِ أقصِرِ ،　　إنّ المنى لَلِقاءُ أُمّ المِسْوَرِ[1]
وكأنّ طارِقَها ، على عَلَلِ الكرى ،　　والنّجمُ ، وهناً ، قد دنا لِتَغوُّرِ[2]
يَستافُ رِيحَ مُدامَةٍ معجونةٍ　　بذكيِّ مِسكٍ ، أو سَحيقِ العنبرِ[3]
إني لأحفظُ غيبَكم ويسرّني ،　　لو تَعلمينَ ، بصالحٍ أن تُذكَري
ويكون يومٌ ، لا أرى لكِ مُرسَلاً ،　　أو نلتقي فيه ، عليَّ كأشْهُرِ
يا ليتني ألقى المنيّةَ بغتةً ،　　إنْ كانَ يومُ لقائكم لم يُقْدَرِ
أو أستطيعُ تجلُّداً عن ذكركم ،　　فيُفيقَ بعضُ صبابتي وتفكُّري
لو تعلمين بما أُجِنُّ من الهوى ،　　لعَذَرتِ ، أو لظلمتِ إن لم تَعذِري
واللهِ ، ما للقلب ، من عِلمٍ بها ،　　غيرُ الظنونِ وغيرُ قولِ المُخبرِ
لا تحسَبي أني هَجَرْتُكِ طائعاً ،　　حَدَثٌ ، لَعَمرُكِ ، رائعٌ أنْ تُهجَري

---

١ المسور : اسم علم كناها به .
٢ العلل : الشرب مرة بعد مرة يتعلل به ، استعير للنعاس . الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه .
٣ يستاف : يشم .

ولتبكيني الباكياتُ ، وإنْ أبُحْ ، يوماً ، بسرِّكِ مُعلناً ، لم أُعذَرِ
يهواكِ ، ما عشتُ ، الفؤادُ ، فإن أمُتْ ، يتبعْ صَدايَ صَداكِ بَين الأقبُرِ
إني إليكِ ، بما وعدتِ ، لناظرٌ نظرَ الفقيرِ إلى الغَنيِّ المُكثِرِ
تُقضَى الديونُ ، وليس يُنجزُ موعِداً هذا الغريمُ لنا ، وليس بمُعسِرِ
ما أنتِ ، والوعدَ الذي تَعِدينَني ، إلاّ كبرقِ سَحابةٍ لم تُمْطِرِ
قلبي نصَحتُ له ، فردّ نصيحتي ، فمتى هَجَرتِيه ، فمنه تَكَثَّري[1]

---

[1] تكثري : أي من الهجر .

وصايا الحبيبة

أغادٍ ، أخي ، من آلِ سلمى ، فمُبكِرُ؟ أبِنْ لي : أغادٍ أنت ، أم متهجِّرُ؟[1]
فإنّكَ ، إن لا تَقضِني ثِنْيَ ساعةٍ ، فكُلُّ امرىءٍ ذي حَاجةٍ مُتيَسِّرُ[2]
فإن كنْتَ قد وطّنْتَ نفساً بحبّها ، فعند ذوي الأهواء وِرْدٌ ومَصْدَرُ
وآخِرُ عهدٍ لي بها يَوْمَ وَدّعَتْ ، ولاحَ لها خَدٌّ مليحٌ ومَحجِرُ
عشيّةَ قالت : لا تُضيعنّ سرَّنا ، إذا غبْتَ عنّا ، وارعَهُ حين تُدبِرُ
وطَرفَكَ ، إمّا جئتنا ، فاحفَظنّهُ ، فذَيْعُ الهوى بادٍ لمن يتبصّرُ
وأعرِضْ إذا لاقيْتَ عيناً تخافُها ، وظاهِرْ ببُغضٍ ، إنّ ذلك أسْتَرُ
فإنّكَ إنْ عرّضْتَ فينا مَقالَةً ، يَزِدْ ، في الذي قد قلتَ ، واشٍ ويُكثِرُ
ويَنشُرُ سرّاً في الصّديقِ وغيره ، يَعِزُّ علينا نشرُه حين يُنشَرُ
فما زِلتَ في إعمال طَرفِكَ نحونا ، إذا جِئتَ ، حتّى كاد حُبُّكَ يَظهرُ
لأهليَ ، حتى لامني كلُّ ناصِحٍ ، وإني لأعصي نَهيَهُمْ حين أُزجَرُ
وما قلتُ هذا ، فاعلَمنّ ، تجنُّباً لصَرمٍ ، ولا هذا بنا عنكَ يَقصُرُ
ولكنّني ، أهلي فداؤك ، أتّقي عليكَ عيونَ الكاشحين ، وأحذَرُ

---

١ المتهجر : السائر في الهاجرة وهي شدة الحر ونصف النهار .
٢ ثني ساعة : مدة ساعة .

وأخشى بني عمّي عليك ، وإنّما ... يخافُ ويتّقِي عِرضَهُ المتفكّرُ

وأنت امرؤ من أهل نجدٍ ، وأهلُنا ... تَهامٍ ، فما النجديُّ والمتغوّرُ ![1]

غريبٌ ، إذا ما جئتَ طالبَ حاجةٍ ، ... وحوليَ أعداءٌ ، وأنتَ مُشهَّرُ

وقد حدّثوا أنّا التقَينا على هوًى ، ... فكُلُّهمُ من حَمْلِهِ الغيظَ مُوقَرُ[2]

فقلتُ لها : يا بَثْنَ ، أوصيتِ حافظاً ، ... وكلُّ امرىءٍ، لم يَرعَهُ اللهُ، مُعوِرُ[3]

فإن تكُ أمُّ الجَهم تَشكي مَلامةً ... إليّ ، فما ألقَى من اللومِ أكْثَرُ[4]

سأمنَحُ طَرفي ، حين ألقاكِ ، غيرَكم، ... لكيما يروا أنّ الهوى حيث أنظرُ

أُقلّبُ طَرفي في السماء ، لعله ... يوافقُ طَرفي طَرفَكُمْ حين يَنظُرُ

وأكنِي بأسماءٍ سواكِ ، وأتّقي ... زِيارَتَكُمْ ، والحُبُّ لا يتغيّرُ

فكم قد رأينا واجِداً بحبيبةٍ ، ... إذا خافَ ، يُبدي بُغضَهُ حين يظهرُ

---

١ تهام : تهامي أي من تهامة . المتغور : من يأتي الغور ويراد به تهامة .

٢ موقر : مثقل بحمله .

٣ معور : أي ممكنة مقاتله ومواضع الخلل فيه .

٤ أم الجهم : كنى بها عن بثينة .

فكيف كبرت ولم تكبري ؟

تقول بُثَيْنَةُ لمّا رَأتْ ... فُنُوناً مِنَ الشَّعَرِ الأحْمَرِ :[1]
كَبِرتَ، جميلُ، وأودى الشبابُ، ... فقلتُ : بُثينَ ، ألا فاقصُري !
أتَنسَينَ أيّامَنَا باللِّوَى ، ... وأيّامَنا بذوي الأجفَرِ ؟[2]
أما كنتِ أبصرتِني مرّةً ، ... ليالِيَ ، نحنُ بذي جَهْوَرِ[3]
ليالِيَ ، أنتم لنا جيرةٌ ، ... ألا تَذكُرينَ ؟ بَلى ، فاذكُري !
وإذ أنا أغيَدُ ، غضُّ الشّبابِ ، ... أجُرُّ الرّداءَ معَ المِئْزَرِ[4]
وإذ لِمّتي كجَنَاحِ الغُرابِ ، ... تُرَجَّلُ بالمِسكِ والعَنْبَرِ[5]
فَغَيَّرَ ذلكَ ما تَعْلَمينَ ، ... تَغَيُّرَ ذا الزّمَنِ المُنْكَرِ
وأنتِ كَلُؤلُؤةِ المَرزُبانِ ، ... بماءِ شبابكِ ، لم تُعصِري[6]
قريبانِ ، مَربَعُنا واحِدٌ ، ... فكيفَ كَبِرْتُ ولم تَكْبَري ؟..

---

١ الشعر الأحمر : أي المخضب بالحناء ونحوها .
٢ اللوى : الرمل الملتوي ، موضع . الأجفر : موضع أو ماء .
٣ جهور : موضع ، ذكره ياقوت والفيروزابادي ، ولم يبينا موقعه .
٤ الأغيد : الشاب الناعم اللين الأعطاف .
٥ ترجل : تمشط .
٦ المرزبان : رئيس الفرس ، وكانوا يتحلون باللآلىء . لم تعصري : لم تراهقي العشرين .

زورا بثينة

شكا زوج بثينة إلى أبيها وأخيها إلمام جميل بها ، فشكوه إلى عشيرته وتوعدوه وإياهم ، فلامه أهله وعنفوه ، وقالوا له : نبرأ منك ومن جريرتك . فأقام مدة لا يلم بها . ثم لقي ابني عمه روقاً ومسعدة فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله :

زورا بُثينةَ ، فالحبيبُ مَزُورُ ، إنّ الزيارةَ ، للمحبِّ ، يَسيرُ
إنّ الترحُّلَ ، إن تَلَبّسَ أمرُنا واعتاقنا قَدَرٌ أُحِمَّ ، بَكُورُ[1]
إني ، عَشيّةَ رُحتُ ، وهي حزينةٌ ، تشكُو إليّ صَبابَةً ، لَصَبُورُ
وتقول: بِتْ عندي، فديتُكَ! ليلةً ، أشكو إليكَ ، فإنّ ذاكَ يَسيرُ
غرّاءُ مِبسامٌ كأنّ حديثَها دُرٌّ تحدَّرَ ، نَظمُه منثورُ
محطوطةُ المَتنين ، مُضمَرَةُ الحشا ، ريّا الروادفِ ، خَلقُها مَمكُورُ[2]
لا حُسْنُها حُسنٌ ، ولا كدلالِها دَلٌّ ، ولا كوَقارها توقيرُ
إنّ اللّسانَ بذكرها لمُوَكَّلٌ ، والقلبُ صادٍ ، والخواطِرُ صُورُ[3]
ولئن جَزَيتِ الودَّ منّي مثلَهُ ، إني بذلكَ ، يا بُثَينَ ، جديرُ

---

١ أحم : قضي .
٢ محطوطة المتنين : أي كأنما حطا بالمحط وهو ما يحط به الجلد أي يدلك ويصقل . ممكور : مدمج .
٣ صور : مائلات ، أي مائلات إليها .

إلى الله أشكو

قال حين حجبوها عنه :

فإن يحجبوها، أو يَحُلْ دونَ وصلها مقالةُ واشٍ ، أو وعيدُ أميرِ
فلم يحجُبوا عينيّ عن دائمِ البُكا ، ولن يَملِكوا ما قد يَجُنُّ ضَميري[1]
إلى الله أشكُو ما ألاقي من الهوى ، ومن حُرَقٍ تَعتادُني ، وزفيرِ
ومن كُرَبٍ للحُبِّ في باطِنِ الحشا ، وليلٍ طويلِ الحزنِ ، غيرِ قصيرِ
سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرةٍ ، بُكاءَ حَزينٍ ، في الوثاقِ ، أسيرِ
وكنّا جميعاً قبلَ أن يَظهَرَ النّوى ، بأنعَمِ حَالَيْ غِبطَةٍ وسُرورِ
فما بَرِحَ الواشونَ ، حتّى بدت لنا بُطُونُ الهوى مقلوبَةً بظُهُورِ
لقد كنتُ حسْبُ النفسِ لو دام وصلُنا، ولكنّما الدنْيا مَتاعُ غُرورِ
لوَ انّ امرأً أخفى الهوى عن ضَميرِهِ ، لَمِتُّ ولم يعلم بذاكَ ضَميري

---

١ يجن : يستر .

أفق !

أفِقْ ، قد أفاقَ العاشقونَ ، وفارقوا ... الهوى ، واستمرّتْ بالرجالِ المرائرُ[1]
فقد ضلّ ، إلاّ أنْ تُقضّيَ حاجةً ... بِبُرْقِ حفيرٍ ، دمعُكَ المتبادِرُ[2]
وهَبْها كشيءٍ لم يكنْ ، أو كنازحٍ ... به الدارُ ، أو مَنْ غيّبَتْهُ المقابرُ
أألحَقُّ ، إن دارُ الرّبابِ تباعدتْ ، ... أو ان شطّ ولْيٌ ، أنّ قلبكَ طائرُ؟[3]
لعَمْريَ ، ما استودعتُ سِرّي وسرَّها ... سِوانا ، حِذاراً أن تَشيعَ السّرائرُ
ولا خاطبتْها مُقلتايَ بنظرةٍ ، ... فتَعلَمَ نَجْوانا العيونُ النّواظرُ
ولكن جعلتُ اللحظَ ، بيني وبينها ، ... رسولاً ، فأدّى ما تَجُنّ الضمائرُ[4]

---

١ المرائر ، جمع مريرة : وهي طاقة الحبل والعزيمة . يقال : استمرت مريرته ، أي استحكمت عزيمته ، وقويت شكيمته .
٢ برق حفير أو برقة حفير : موضع ، والبرقة : الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان .
٣ الرباب : علم امرأة . شط : بعد . الولي : القرب . ويقال : داره ولي داري ، أي قريبة منها .
٤ تجن : تستر .

الحب أوله لجاجة

لاحتْ ، لعينِكَ من بُثَيْنَةَ ، نارُ ، فدموعُ عينِكَ دِرّةٌ وغِزارُ[1]
والحبُّ ، أوّلُ ما يَكونُ لَجاجةٌ ، تأتي به وتَسُوقُه الأقدارُ
حتّى إذا اقتحَمَ الفتى لُجَجَ الهَوى ، جاءتْ أُمورٌ لا تُطاقُ ، كِبارُ
ما من قَرينٍ آلِفٍ لقَرينِها ، إلاّ لحبلِ قَرينِها إقصارُ[2]
وإذا أردتِ ، ولن يخونَكِ كاتمٌ ، حتّى يُشيعَ حديثَكِ الإظهارُ
كِتمانَ سرِّكِ ، يا بُثينَ ، فإنّما ، عندَ الأمينِ ، تُغيَّبُ الأسرارُ[3]

---

١ الدرة : الصب ، والمراد ذوات درة .
٢ القرين الأول : القرينة ، على تضمين معنى الزوج للمرأة ، حملا على نظيره .
٣ كتمان : مفعول أردت في البيت السابق .

أنت وقلبك

أتَهْجرُ هذا الرَّبْعَ، أم أنتَ زَائرُهْ ، وكيفَ يُزَارُ الرَّبْعُ قد بانَ عامِرُهْ ؟[1]
رأيتُكَ تأتي البيتَ تُبغِضُ أهْلَهُ ، وقلبُكَ في البيتِ الذي أنتَ هاجِرُهْ

من يضير ؟

يطولُ اليومُ إن شحَطت نَواها ، وحَوْلٌ ، نَلتقي فيه ، قَصيرُ[2]
وقالوا : لا يَضيرُكَ نأيُ شهرٍ ، فقلتُ لصاحبيّ : فَمَنْ يَضيرُ ؟

---

١ بان : بعد . عامره : آهله .
٢ شحطت : بعدت .

الحب العذري

لا والذي تَسجُدُ الجِباهُ لهُ ، ما لي بما دون ثوبِها خبَرُ
ولا بفِيها ، ولا همَمتُ به ، ما كانَ إلاّ الحديثُ والنّظرُ

جلوة أم منظور

مر جميل بدار بثينة ، راكباً ناقته ، وقد جلتها وزينتها عجوز لها اسمها أم منظور ، فجعل ينظر إليها بمؤخر عينه ولا يلتفت إليها ، حتى غاب عنها . وفي ذلك يقول :

ما أنسَ ، لا أنسَ منها نظرةً سلفت ، بالحِجْرِ ، يومَ جَلَتْها أمُّ منظورِ[1]
ولا انسِلابتُها ، خُرْساً جَبائِرُها ، إليّ ، من ساقِطِ الأرواقِ ، مستورِ[2]

---

١ الحجر : موضع قرب وادي القرى .
٢ انسلابتها : إسراعها . الجبائر : الأساور ، وقوله : خرساً جبائرها ، أي لا يسمع لأساورها صوت لسمن معصميها . الأرواق : الأستار ، واحدها روق .

لم يقربا ريبة

وكانَ التفرّقُ عندَ الصّباحِ ، عن مِثْلِ رائِحَةِ العَنْبرِ
خَليلانِ ، لم يَقرُبا ريبَةً ، ولم يُسْتَخَفّا إلى مُنْكَرِ

سارق الضيف

قال يهجو الشماخ بن ضرار الغطفاني الشاعر :

أبوكَ حُبابٌ، سارقُ الضّيفِ بُرْدَهُ ، وجَدّيَ، يا شمّاخُ ، فارسُ شَمّرا[1]
بنو الصالحينَ الصالحونَ ، ومن يكنْ لآباءِ سَوءٍ ، يَلقَهُمْ حيثُ سُيّرا
فإن تغضَبوا من قِسمةِ الله فيكُمُ ، فَلَلّهُ ، إذ لم يُرضِكُمْ، كان أبصَرا

1 شمر : فرس جد جميل اشتهر بها .

اعتداده بسيفه

حذرت بثينة جميلا من مفاجأة أهلها لهما ، وقد رآهما غلام زوجها مجتمعين في خبائها، فقال غير مكترث لما خوفته منه :

لَعَمْرُكِ ، ما خوّفتِني من مَخافةٍ ، بُثينَ، ولا حَذّرتِني موضِعَ الحَذَرْ
فأُقسِمُ ، لا يُلْفَى لي اليومَ غِرّةٌ ، وفي الكَفّ مني صارمٌ قاطعٌ ذكَرْ

أذل قوم

كان عبد الله بن معمر أبو جميل يلقب صُباحاً ، وكان عبيد الله ابن قطبة يلقب حماطاً . فقال النخار العذري أحد بني الحارث بن سعد : قطبة كان خيراً من صُباح . فقال جميل يهجو بني الأحب رهط قطبة ورهط بثينة ، ويهجو النخار :

إنّ أحَبَّ سُفّلٌ أشرارُ ، حُثالةٌ ، عُودُهم خَوّارُ[1]
أذلّ قومٍ ، حينَ يُدعى الجارُ ، كما أذَلّ الحارثَ النخّارُ

١ الحثالة : ما لا خير فيه ، والرديء من كل شيء .

حرف العين

فيا رب حببني إليها

أهاجَكَ ، أم لا ، بالمداخِلِ مَربَعُ ، وَدارٌ ، بأجراعِ الغَديرَينِ ، بَلقَعُ ؟[1]
ديارٌ لسَلمى ، إذ نحِلُّ بها معاً ، وإذ نحن منها بالمَوَدّةِ نطمَعُ
وإن تكُ قد شطّتْ نواها ودارُها ، فإنّ النَّوى مما تُشِتُّ وتَجْمَعُ[2]
إلى اللهِ أشكو ، لا إلى الناس، حُبَّها ، ولا بُدّ من شكوى حبيبٍ يُرَوِّعُ
ألا تتّقِينَ اللهَ فيمَن قتلتِهِ ، فأمسَى إليكم خاشِعاً يتضرّعُ ؟
فإنْ يكُ جُثماني بأرضِ سِواكُمُ ، فإنّ فؤادي عندكِ الدهرَ أجمَعُ
إذا قلتُ هذا ، حين أسلو وأجْتَري على هجرها ، ظلّتْ لها النفسُ تَشفَعُ
ألا تتّقِينَ اللهَ في قتْلِ عاشقٍ ، له كَبِدٌ حرّى عليكِ تَقَطَّعُ

---

١ المداخل : هضب منطق بأرض بيضاء ، يشرف على الريان ، والريان : جبل بنجد في ديار بني طيء لا يزال يسيل منه الماء . الأجراع : جمع جرع بالتحريك ، وهو الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة .

٢ شطت : بعدت .

غريبٌ، مَشوقٌ، مولَعٌ بادّكارِكُمْ ، وكلُّ غريبِ الدارِ بالشّوقِ مُولَعُ
فأصبحتُ، ممّا أحدثَ الدهرُ، موجَعاً، وكنتُ لريبِ الدهرِ لا أتخشّعُ
فيا ربِّ حبّبْني إليها ، وأعطِني المودّةَ منها ، أنتَ تُعطي وتمنعُ !
وإلاّ فصبّرني ، وإن كنتُ كارهاً ، فإنّي بها ، يا ذا المَعارج ، مُولَعُ[1]
وإن رمتُ نفسي كيف آتي لصَرمِها ، ورمتُ صدوداً ، ظلّتِ العينُ تدمَعُ
جزِعتُ حِذارَ البين يومَ تحمّلوا ، ومن كان مثلي ، يا بُثينةُ ، يجزَعُ
تمتّعْتُ منها ، يومَ بانوا ، بنظرةٍ ، وهل عاشقٌ ، من نظرةٍ ، يتمتّعُ ؟
كفى حَزَناً للمرء مَا عاشَ أنّه ببَيْنِ حبيبٍ ، لا يزالُ يُروَّعُ
فواحَزَنا ! لو ينفعُ الحزنُ أهلَه ، وواجَزَعَا ! لو كان للنفسِ مَجزَعُ
فأيُّ فؤادٍ لا يَذُوبُ لِما أرى ، وأيُّ عيونٍ لا تجود فتدمَعُ ؟

---

١ ذو المعارج : من أسماء الله تعالى ، أي المصاعد والدرج ، والمراد معارج الملائكة إلى السماء ، وقيل إنها الفواصل العالية .

ولا تضيعن سري !

صدّتْ بُثينةُ عني أن سَعَى ساعٍ ، وآيَسَتْ بعد موعودٍ وإطماعِ
وصدّقتْ فيّ أقوالاً تَقَوَّلها واشٍ ، وما أنا للواشي بمِطواعِ
فإنْ تَبِيني بلا جُرمٍ ولا تِرَةٍ ، وتُولَعِي بيَ ظُلماً أيّ إيلاعِ[1]
فقد يَرى اللهُ أني قد أحِبُّكُمُ ، حُبّاً أقامَ جَواهُ بين أضلاعي[2]
لولا الذي أرتجي منه وآمُلُهُ ، لقد أشاعَ ، بموتي عندها ، ناعِي
يا بَثْنُ ، جُودي ، وكافي عاشقاً دنِفاً ، واشفي بذلك أسقامي وأوجاعي
إنّ القليلَ كثيرٌ منكِ ينفعني ، وما سِواهُ كثيرٌ ، غيرُ نَفّاعِ
آليتُ ، لا أصْطفي بالحبّ غيرَكمُ ، حتى أغَيَّبَ ، تحتَ الرَّمسِ ، بالقاعِ
قد كنتُ عنكم بَعيدَ الدارِ مُغترِباً ، حتى دعاني ، لحَيْني ، منكمُ ، داعِ
فاهتاجَ قلبي لحُزنٍ قد يُضَيِّقُهُ ، فما أغمّضُ غُمضاً غيرَ تَهياعِ[3]
ولا تُضيعِنّ سرّي ، إن ظفِرتِ به ، إني لِسِرِّكِ ، حقّاً ، غيرُ مِضياعِ
أصونُ سِرَّكِ في قلبي ، وأحفظُهُ ، إذا تَضايَقَ صدرُ الضَّيِّقِ الباعِ
ثمّ اعلمي أنّ ما استودعتِني ، ثِقةً ، يُمسي ويُصبحُ عندَ الحافِظِ الواعي

---

١ التِرة : الثأر .
٢ الجوى : الهوى الباطن والحزن .
٣ التّهياع : الانبساط على وجه الأرض ، والضجر ، والفزع الشديد .

ليس الحب بدعة

سقى مَنزِلَينَا ، يا بُثين ، بحاجِرٍ ، على الهجرِ منّا ، صَيِّفٌ وربيعُ[1]
ودورَكِ ، يا ليلى ، وإن كُنّ بعدنا بَلِينَ بِلًى ، لم تَبْلَهُنّ ربوعُ
وخيماتِكِ اللاتي بمُنعرَجِ اللّوى ، لقُمريّها ، بالمشرقين ، سَجيعُ[2]
يُزعزعُ فيها الرّيحُ ، كلَّ عشيّةٍ ، هَزيمٌ ، بسُلاّفِ الرّياح ، رَجيعُ[3]
وإنّيَ ، أن يَعلى بكِ اللّومُ ، أو تُرَيْ بدارِ أذًى ، من شامتٍ لَجزُوعُ
وإني على الشيء الذي يُلتَوى به ، وإن زجرتْني زَجرةً ، لَوريعُ[4]
فقدتُكِ من نفسٍ شَعاعٍ ! فإنني نَهيتُكِ عن هذا ، وأنتِ جَميعُ[5]
فقرّبتِ لي غيرَ القريبِ ، وأشرفَتْ هناكَ ثنايا ، ما لهنّ طُلُوعُ[6]
يقولون : صَبٌّ بالغواني موكَّلٌ ، وهلْ ذاكَ ، من فعل الرجال، بديعُ ؟[7]
وقالوا: رعيت اللّهوَ، والمالُ ضائعٌ ؛ فكالنّاسِ فيهم صالحٌ ومُضيعُ

---

١ حاجر : موضع . الصيف : مطر الصيف . الربيع : المطر في الربيع .
٢ المنعرج : المنعطف . اللوى : ما التوى من الرمل . القمري : الحمام .
٣ الهزيم : صوت الرعد . سلاف الرياح : متقدماتها . رجيع : مردد .
٤ زجرتني : ضمير الفاعل يعود إلى نفسه ، دل عليها ما بعده . وريع : كاف ممتنع .
٥ الشعاع : المتفرقة الهموم . جميع : أي مجموعة الهم .
٦ ثنايا : عقبات .
٧ بديع : أي بدعة يؤتى بها .

حبل النوى

لمّا دنا البينُ ، بينُ الحيِّ ، واقتسموا حبلَ النوى ، فهو في أيديهِم قِطَعُ
جادتْ بأدمُعِها ليلى ، وأعجلني وشكُ الفراقِ ، فما أُبقيَ ، وما أدعُ
يا قلبُ ويحَكَ ، ما عيشي بذي سَلَمٍ ، ولا الزمانُ ، الذي قد مرّ ، مُرْتَجَعُ[1]
أكلّما بانَ حَيٌّ ، لا تُلائِمُهمْ ، ولا يُبالونَ أنْ يَشتاقَ مَن فجَعوا
علّقْتِني بهوًى مُردٍ ، فقد جعَلَتْ من الفِراقِ ، حَصاةُ القلب تَنصدِعُ[2]

---

١ ذو سلم : موضع .
٢ مرد : مهلك .

أعيذك بالرحمن !

قالها لما زوجت بثينة نبيهاً :

ألا نادِ عِيراً من بُثينةَ ، تَرتَعِي ، نودِّعْ على شَحْطِ النَّوى، وتودِّعِ [1]
وحُثّوا على جمع الرّكاب ، وقَرِّبوا جِمالاً ، ونوقاً جلّةً، لم تَضَعضَعِ [2]
أُعيذُكِ بالرّحمن من عيش شِقوَةٍ ، وأن تَطمَعي ، يوماً، إلى غيرِ مَطمَعِ !
إذا ما ابنُ ملعونٍ تَحَدّر رَشحُهُ عليكِ ، فموتي ، بعدَ ذلك، أو دَعي! [3]
مَلِلنَ ، ولم أمْلَلْ، وما كنتُ سائماً لأجمالِ سُعدى ، ما أَنخن بجَعجَعِ [4]
ألا قد أرى ، إلاّ بُثينةَ ، هَهُنا ، لنا بعدَ ذا المُصطافِ والمُتَرَبَّعِ

---

١ العير : الإبل تحمل الميرة . الشحط : البعد .
٢ الركاب : الإبل . الجلة : الإبل المسنة . لم تضعضع : أي لم تضعف وتذل .
٣ ابن ملعون : أي زوجها .
٤ السائم : الذي يعرض الإبل على الحوض لتشرب . الجعجع : ما تطامن من الأرض .

ما عندنا لك حاجة

عرفتُ مَصيفَ الحيِّ ، والمُتربَّعا ، كما خطّتِ الكَفُّ الكِتابَ المُرجَّعا[1]
معارِفُ أطلالٍ لبَثْنَةَ ، أصبحَتْ مَعارفُها قَفْراً ، من الحيِّ ، بَلْقَعا
مَعارِفُ للخَودِ التي قُلتُ : أجمِلي إلينا ، فقد أصْفيتِ بالوُدّ أجْمَعَا
فقالتْ : أفِقْ ، ما عندنا لكَ حاجةٌ ، وقد كنتَ عنّا ذا عَزاءٍ مُشَيَّعا[2]
فقلتُ لها : لو كنتُ أُعطيتُ عنكمُ عَزاءً ، لأقللتُ ، الغَداةَ ، تضرُّعا
فقالت : أكلَّ الناس أصبحتَ مانِحاً لسانَكَ ، كيما أن تَغُرَّ وتَخدَعا ؟

---

١ المعنى : عرفت آثار ديار الحبيبة ، مصيفها ومتربعها ، فقد انكشفت بعد دروسها ، كأنها كتابة محتها الأيام الطوال ، ثم رجعت كف الكاتب رسمها بالأقلام .

٢ المشيع : الشجاع ، والمعجول .

حرف الفاء

عاشق محارب

أمِن منزلٍ قَفرٍ تعفّتْ رسومَهُ شَمالٌ تُغاديهِ ، ونَكباءُ حَرجَفُ[1]
فأصبحَ قفراً ، بعدما كان آهِلاً ، وجُمْلُ المُنى تَشتُو به وتُصيّفُ[2]
ظللتُ ، ومُستَنٌّ من الدمع هامِلٌ من العين ، لمّا عُجتُ بالدارِ ، يَنزِفُ[3]
أمُنصِفَتي جُمْلٌ ، فتَعدِلَ بيننا ، إذا حكَمَتْ ، والحاكمُ العَدلُ يُنصِفُ
تَعلّقتُها ، والجسمُ مني مُصَحَّحٌ ، فما زال ينمي حُبُّ جُملٍ ، وأضعُفُ
إلى اليوم ، حتّى سلّ جسمي وشَفّني ، وأنكرتُ من نفسي الذي كنت أعرِفُ
قَناةٌ من المُرّان ما فوقَ حَقوِها ، وما تحتَه منها نَقاً يتقصّفُ[4]

---

١ تعفت : محت . النكباء : الريح التي وقعت بين مهب ريحين ، أي بين الصبا والشمال . حرجف : باردة شديدة الهبوب .
٢ جمل : علم امرأة كنى به عن بثينة .
٣ مستن : منصب .
٤ المران : الرماح اللدنة ، ويريد بالقناة انتصاب قامتها . الحقو : الكشح أو معقد الإزار . النقا : الكثيب من الرمل . والمراد به ردفها .

لها مُقْلتا ريمٍ ، وجِيدُ جِدايَةٍ ، وكشحٌ كطيِّ السابريّة أهيَفُ[1]
ولستُ بناسٍ أهلَها ، حين أقبلوا ، وجالوا علينا بالسُّيوفِ ، وطَوّفوا
وقالوا : جميلٌ بات في الحيّ عندها ، وقد جرّدوا أسيافَهم ثمّ وقّفوا
وفي البيتِ ليْثُ الغاب ، لولا مخافةٌ على نفس جُملٍ ، والإلهِ ، لأُرعِفوا[2]
همَمتُ ، وقد كادت مِراراً تطلّعتْ ، إلى حربهم ، نفسي ، وفي الكفّ مُرهَفُ
وما سرّني غيرُ الذي كان منهمُ ومني ، وقد جاؤوا إليّ وأوجفوا[3]
فكم مُرتَجٍ أمراً أُتيحَ له الرَّدى ، ومن خائفٍ لم يَنتقِصهُ التَّخوّفُ
أإن هتَفَتْ وَرقاءُ ظِلتَ ، سَفاهَةً ، تُبكّي ، على جُملٍ ، لورقاءَ تَهتِفُ ؟[4]
فلو كان لي بالصّرم ، يا صاحِ ، طاقةٌ ، صَرَمتُ ، ولكني عن الصَّرمِ أضعُفُ
لها في سَوادِ القلب بالحبِّ مَنعةٌ ، هي الموت ، أو كادت على الموت تُشرِفُ
وما ذكَرتْكِ النفسُ ، يا بثْنَ ، مرّةً من الدهر ، إلاّ كادت النفسُ تُتلَفُ
وإلاّ اعترتني زَفرةٌ واستِكانَةٌ ، وجادَ لها سَجْلٌ من الدمع يَذرِفُ[5]
وما استَطرفَتْ نفسي حديثاً لخُلّةٍ ، أُسَرّ به ، إلاّ حديثُكِ أطرَفُ

---

١ الجداية : الظبية . السابرية : الثياب الرقيقة .
٢ لأرعفوا : أي لسبقوا إلى القتال . يقال أرعفه : يعني أعجله ، أي سبقه واستحثه .
٣ أوجفوا : أسرعوا .
٤ الورقاء : الحمامة .
٥ السجل : الدلو العظيمة مملوءة ، وملء الدلو .

وبين الصّفا والمَرْوَتَينِ ذكرتُكم   بمختلفٍ ، والناسُ ساعٍ ومُوجِفُ[1]
وعند طَوافي قد ذكرتُكِ مَرّةً ،   هي الموتُ، بل كادت على الموت تضعَفُ[2]

---

١ الصفا : من مشاعر مكة وكذلك المروة ، وهما جبلا المسعى ، وإليهما ينتهي سعي الحجاج . الموجف : المسرع .
٢ الطواف : أي الطواف حول الكعبة . تضعف : تكثر .

طائف الحب

فما سِرْتُ من ميلٍ ، ولا سرْتُ ليلةً ، من الدّهرِ ، إلاّ اعتادني منكِ طائفُ
ولا مرّ يومٌ ، مذ ترامتْ بكِ النّوى، ولا ليلةٌ ، إلاّ هوًى منكِ رادفُ
أهُمُّ سُلُوّاً عنكِ ، ثم تردّني إليكِ ، وتثنيني عليكِ العواطِفُ
فلا تحسَبِنّ النّأيَ أسلى مَودّتي ، ولا أنّ عيني رَدّها عنكِ عاطِفُ
وكم من بَديلٍ قد وجدتُ، وطُرْفةٍ ، فتأبَى عليّ النفسُ تلك الطّرائفُ[1]

---

١ الطرفة : ما كانت مستحدثة معجبة . الطرائف : جمع طريفة ، ومحلها هنا النصب ، وفي البيت إقواء .

العاشق الرديف

وإني لأستحيي منَ الناس أنْ أرى ... رَديفاً لوصلٍ ، أو عليّ رديفُ

وأشرَبَ رَنْقاً منكِ ، بعد مودّةٍ ، ... وأرضى بوصلٍ منكِ ، وهو ضعيفُ[1]

وإنيَ للماءِ المُخالِطِ للقَذى ، ... إذا كَثُرَتْ وُرّادُهُ ، لَعَيوفُ !

---

١ الرنق : الماء الكدر .

فإن نحن أومأنا

ونحنُ منعنا يومَ أوْلٍ نساءنا ، ويومَ أُفَيٍّ ، والأسِنّةُ تَرعُفُ[1]
ويومَ ركايا ذي الجَداةِ ، ووقعةٍ ببَنْيانَ كانت بعضَ ما قد تَسلّفوا[2]
يُحِبُّ الغواني البِيضُ ظِلَّ لوائنا ، إذا ما أتانا الصارخُ المتلهّفُ
نسيرُ أمامَ الناس ، والناسُ خَلفَنا ، فإن نحنُ أومأنا إلى الناسِ ، وقّفوا[3]
فأيُّ مَعَدٍّ كان فَيْءَ رِماحِهم كما قد أفأنا ، والمُفاخِرُ يُنصِفُ[4]
وكُنّا إذا ما مَعشَرٌ نصَبوا لنا ، ومرّتْ جَواري طَيرِهمْ ، وتعَيّفوا[5]
وضَعنا لهم صاعَ القِصاصِ رهينةً ، ونحنُ نُوفّيها ، إذا الناسُ طفّفُوا[6]
إذا استبَقَ الأقوامُ مجداً ، وجدتَنا لنا مِغرَفا مجدٍ ، وللناس مِغْرَفُ

---

١ أول : واد بين مكة واليمامة . أفي : موضع . ترعف : تقطر دماً .

٢ الركايا ، جمع ركية : وهي البئر ذات الماء . ذو الجداة : موضع في بلاد غطفان ، ويقال أيضاً الجذاة بالذال المعجمة . بنيان : قرية باليمامة . تسلفوا : اقترضوا ، وأكلوا السلفة ، وهي ما يعجل للرجل من الطعام قبل الغداء ، وكلا المعنيين يؤخذ هنا على المجاز .

٣ هذا البيت سرقه الفرزدق وجعله في ملحمته .

٤ فأي معد : أي أيّ قبائل معد ، ومعد مجموع القبائل العدنانية . وجميل من بني عذرة ، وهي قبيلة قحطانية ، فهو هنا يفاخر العدنانية . الفيء : الغنيمة . أفأنا : يقال أفأنا كذا ، أي صيرنا فيئاً .

٥ نصبوا لنا : عادونا . تعيفوا : زجروا الطير ليتفاءلوا أو يتشاءموا بطيرانها .

٦ الصاع : مكيال . طففوا : نقصوا المكيال .

برَزنا وأصحَرنا لكلّ قبيلةٍ ، بأسيافنا ، إذ يؤكَل المُتَضَعَّفُ[1]
ونحن حَمينا ، يومَ مَكّةَ ، بالقَنا ، قُصَيّاً ، وأطرافُ القنا تتقصّفُ[2]
فَحُطنَا بها أكنافَ مَكّةَ ، بعدما أرادتْ بها، ما قد أبى اللهُ، خِنْدِفُ[3]

---

١ أصحرنا : برزنا إلى الصحراء . والمراد أنهم باشروا القتال في العراء .
٢ قصي : الجد الجامع لقريش ، ويلقب المجمع .
٣ خندف : القبائل المضرية التي ترجع إلى إلياس بن مضر ، وتعرف باسم أمها خندف .

ولو دعا الله

خرج مروان بن الحكم مسافراً في نفر من قريش ، ومعه جميل ، فقال له : انزل فارجز بنا ؛ وهو يريد أن يمدحه ، فنزل جميل فرجز مفتخراً . فقال له مروان : عد عن هذا ! فقال جميل يتلهف على البيت المعدي ، وبنو أمية من معد ، فقال له مروان : اركب لا ركبت ؛ وذلك قوله :

لَهفاً على البيتِ المَعدّيِّ لَهفا ، من بعدِ ما كان قد استَكَفّا[1]
ولو دعا اللهَ ، ومَدّ الكَفّا ، لرجَفَتْ منهُ الجبالُ رَجْفا

---

[1] استكف : اجتمع واستمسك . واستكف أيضاً : مد يده بالصدقة .

للحب أعداء*

طَرِبْتُ وهاجَ الشَّوْقُ منّي ، وربّما طَرِبْتُ فأبكاني الحَمامُ الهَواتِفُ
وأصبحتُ قد ضَمّنْتُ قلبي حزَازَةً وفي الصَّدرِ بَلْبالٌ تَليدٌ وطارِفُ
وأصبحتُ أكمِي النّاسَ أسرارَ حبِّها وللحُبِّ أعداءٌ كثيرٌ وقارِفُ[1]
فكَمْ غُصَّةٍ في عَبْرةٍ قَدْ وَجَدتُها وهَيّجَها منّي العُيونُ الذَّوارِفُ
إذا ذكرتْكِ النّفسُ ظَلْتُ كأنّني يُقَرِّفُ قَرْحاً في فؤاديَ قارِفُ[2]
وقُلْتُ لِقَلْبٍ قَدْ تمادَى به الهَوَى وأبلاهُ حُبٌّ من بُثَيْنَةَ رادِفُ
لَعَمْرُكَ لولا الذّكْرُ لانْقَطَعَ الهوَى ولولا الهَوَى ما حَنَّ للبَيْنِ آلِفُ
كَلِفْتُ بحَمّاءِ المَدامع طَفْلَةٍ حبيبٍ إليْنا قُرْبُها لو تُناصِفُ[3]
مِنَ اللُّفِّ أفخاذاً إذا ما تَقَلّبَتْ مِنَ اللّيلِ وَهْناً أثْقَلَتْها الرَّوادِفُ
شِفاءُ الهَوَى ، أمثالُها مُنْتَهَى المُنَى ، بها يَقْتَدي البيضُ الكِرامُ العَفائفُ[4]

---

* هذه القصيدة ليست من الديوان وقد عثر بها الدكتور حسين نصار في منتهى الطلب .

١ أكمي : أستر . القارف : الباغي والكاذب .

٢ يقرف : يقشر . القرح : البثر إذا ترامى إلى الفساد .

٣ حماء : سوداء . المدامع هنا : العيون ، يريد شديدة سواد العين وبياض بياضها .
الطفلة : الرخصة الناعمة . تناصف : تنصف وتعدل .

٤ شفاء الهوى : تشفي الهوى من الألم والحزن .

قَطوفُ الخطى عند الضُّحى ، عَبلةُ الشوى إذا استَعْجل َالمشْيَ العِجالُ النّحائفُ[1]
أنَاةٌ كأنّ الرِّيقَ منها مُدامَةٌ بُعَيدَ الكَرَى أو ذافَهُ المسكَ ذائفُ[2]
فتلْكَ التي هامَ الفؤادُ بذِكْرِها سَفاهاً وبعضُ الذِّكْرِ للقلب شاعِفُ[3]
وما أنْسَ مِ الأشياءِ لا أنْسَ قَوْلها غَداةَ انصِداعِ الشَّعبِ : هل أنت واقِفُ
ولا قَوْلَها بالخَيْفِ : أنَّى أتيْتَنَا ؟ حِذارَ الأعادي ، أو متى أنت عاطِفُ؟[4]
ولا قَوْلَها لي : يا جميلُ احفَظَنَّني ونفسَكَ مِنْ بعضِ الَّذين تُلاطِفُ
بني عَمِّيَ الأدْنَيْنَ مِنْهُمْ وغيرهم مِنَ النّاسِ ضَمّتْهُمْ إليْكَ المعارِفُ
ولا عَيْنَها إذ يَغْسِلُ الدَّمعُ كُحْلَها وتُبْدي لنا مِنْها الهوَى ، وهْيَ خائِفُ
وقالتْ : تَرَفَّقْ في مقالةِ ناصِحٍ عَسَى الدَّهْرُ يوْماً بَعْدَ نأيٍ يُساعِفُ
فإنْ تَدْنُ مِنّا يَرجِعِ الوُدَّ راجِعٌ وإلاَّ فقَد بانَ الحَبيبُ المُلاطِفُ
فَوَلَّيْتُ مَحزوناً وقلتُ لصاحبي : هُوَ الموتُ إن بانَ الحبيبُ المُؤالِفُ
وصاحَ ببَيْنِ الدّارِ مِنّا ومِنْهُمُ غَداةَ ارتحلْنا للتّفَرُّقِ هاتِفُ
فكم قَدْ قَطَعْنا دونكُمْ مِنْ مجاهلٍ ومَوْماةِ أرضٍ دونَهنّ نَفانِفُ[5]

---

١ قطوف الخطى : بطيئة السير صغيرة الخطو . عبلة : ضخمة . الشوى : الأطراف .
٢ أناة : فيها فتور عند القيام . ذافه : خلطه .
٣ شاعف : يغشى القلب ويغلبه .
٤ الخيف : سفح الجبل ، وما ارتفع عن مسيل الماء ، وارتفاع وهبوط في سفح جبل أو غلظ ، والوادي .
٥ المجاهل : جمع مجهل ، وهي الصحراء لا يهتدى فيها . الموماة : المفازة الواسعة أو الفلاة التي لا ماء فيها . النفانف : جمع نفنف ، وهي المفازة .

على كُلِّ عِيديٍّ النِّجَارِ مُرَاكِلٍ وأُدْمٍ تَبارَى وهْيَ قُودٌ حَرَاجِفُ [1]

حراجِيجُ أمْثالُ القَنا تَنهِصُ السُّرَى إذا نفضتْ هاماتِهن الرَّواجِفُ [2]

سَرَوْا ما سَرَوْا من لَيْلِهم ثمَّ عرَّسُوا سُحَيْراً وقَدْ مالتْ بهنَّ السَّوالِفُ [3]

على كُلِّ ثِنْيٍ من يَدَيْ أرْحَبِيَّةٍ طَوَى النَّحضَ عنها نازحاتٌ تَنائفُ [4]

إذا جاوَزُوا أعلامَ أرضٍ بَدَتْ لهم مَهامِهُ يُخْشَى في هُداها المَتالِفُ

---

١ العيدي : الفحل الكريم ، ينسب إلى فحل كان يسمى عيداً . النجار : الأصل . المراكل : الذي يركل . الأدم : النوق المشربة بياضاً أو سواداً . قود : ذلولة منقادة . حراجف : جمع حرجف . والمعنى المذكور لها في المعاجم الريح الباردة الشديدة الهبوب ، ولعله يريد أن هذه النوق تهب عليها هذه الريح .

٢ الحراجيج : جمع حرجوج ، وهي الناقة السمينة الطويلة على وجه الأرض ، أو الشديدة ، أو الضامرة الوقادة القلب . تهص : تكسر وتطأ بشدة . السرى : السير بالليل .

٣ عرسوا : وقفوا وأقاموا . سحيراً : أي في السحر . السوالف : جمع سالفة ، وهي ما تقدم من الأعناق ، يريد مالت للنوم .

٤ الثني : المثني المطوي . الأرحبية : النجيبة المنسوبة إلى أرحب ، قبيلة أو موضع أو فحل . النحض : اللحم . النازحات : البعيدات . التنائف : جمع تنوفة ، وهي المفازة ، والقفر من الأرض ، والأرض الواسعة البعيدة ما بين الأطراف .

حرف القاف

زائر مغامر

فاجأ أهل بثينة جميلا وبثينة مجتمعين
في خلوة ، فلم تزل تناشده حتى انصرف .
وقال في ذلك :

ألم تسألِ الرَّبعَ الخلاءَ فينطقُ ، وهل تخبرنْكَ اليومَ بيداءُ سَمْلَقُ ؟ [1]
وقفتُ بها حتى تجلّتْ عمايتي ، وملّ الوقوفَ الأرحبيُّ المنوَّقُ [2]
بمختلفِ الأرواحِ ، بين سُوَيْقةٍ وأحدَبَ ، كادت بعد عهدِكَ تَخلُقُ [3]
أضَرّتْ بها النكباءُ كلَّ عشيّةٍ ، ونَفْخُ الصَّبا ، والوابلُ المُتبعِّقُ [4]
وقال خليلي : إنّ ذا لَصَبابَةٌ ، ألا تَزجُرُ القلبَ اللّجوجَ فيُلحَقُ ؟
تَعَزَّ ، وإنْ كانتْ عليكَ كريمةٌ ، لعلّكَ من رِقٍّ ، لبثْنَةَ ، تَعتِقُ

---

١ سملق : قاع صفصف .
٢ عمايتي : غوايتي ولجاجي . الأرحبي : النجيب من الإبل ، منسوب إلى أرحب ، وهو فحل أو مكان . المنوق : المذلل من الجمال .
٣ الأرواح : الرياح . سويقة : موضع ببطن مكة . الأحدب : جبل لبني فزارة بمكة . تخلق : تبلى .
٤ النكباء : الريح تهب بين ريحين . الصبا : الريح الشرقية . المتبعق : المتفجر من المطر .

فقلتُ له : إنّ البعادَ لَشائقي ، وبعضُ بعادِ البَين والنّـأيِ أشْوَقُ

لعلّكَ محزونٌ ، ومبُدٍ صَبابَةً ، ومُظهِرُ شكوى من أُناسٍ تفرّقوا

وما يبتغي منّي عُداةٌ تعاقدوا ، ومن جِلدِ جاموسٍ سمينٍ مُطرَّقِ [1]

وأبيضَ من ماء الحَديدِ مُهنّدٍ ، له بعد إخلاص الضّريبةِ رَونقُ [2]

إذا ما علتْ نَشْزاً تمُدُّ زِمامَها ، كما امتدّ جِلدُ الأصلف المترقرقُ [3]

وبِيضٍ غَرَيراتٍ تُثنّي خُصورَها ، إذا قُمنَ ، أعجازٌ ثِقالٌ وأسْوُقُ [4]

غَرائرَ ، لم يَعرِفنَ بؤسَ معيشةٍ ، يُجَنُّ بهنّ الناظِرُ المُتَنَوِّقُ [5]

وغَلغَلتُ من وجدٍ إليهنّ ، بعدما سَرَيتُ، وأحشائي من الخوفِ تَخفِقُ

معي صارمٌ قد أخلص القَينُ صَقلَهُ ، له ، حين أُغشيهِ الضَّريبةَ ، رَونقُ [6]

فلولا احتيالي ، ضِقْنَ ذَرعاً بزائرٍ ، به من صَباباتِ إليهنّ أولَقُ [7]

---

١ المطرق : صفة للمجن الذي يطرق بعضه على بعض ، يقول : إن مجنه من جلد جاموس سمين مطرق ، فما يبتغي الأعداء منه ؟ وفي البيت إقواء .

٢ الضريبة : حد السيف . وإخلاص الضريبة : أي ما أخلصته النار من حده ، أي استخلصته .

٣ علت : أي ناقته . النشز : المكان المرتفع . الأصلف : الذي يتمدح بما ليس فيه إعجاباً وتكبراً . المترقرق : المتحرك يجيء ويذهب .

٤ الغريرات : الشابات اللواتي لم يجربن الأمور . أسوق : جمع ساق .

٥ المتنوق : المجدد الذي يتقن عمله ، كالمتأنق .

٦ القين : الحداد . أغشيه : أجعله يأتي .

٧ الأولق : الجنون .

تَسُوكُ بقُضبانِ الأراكِ مُفَلَّجاً ، يُشَعْشَعُ فيه الفارسيُّ المُرَوَّقُ [1]
أبَثْنَةُ ، لَلوَصلُ ، الذي كان بيننا ، نَضَا مثلما يَنضو الخِضابُ، فيَخلُقُ [2]
أبَثْنَةُ ، ما تَنأينَ إلاّ كَأنّني بنجم الثُّريّا ، ما نأيتِ ، مُعلَّقُ

---

١ تسوك : تطهر أسنانها . الأراك : شجر تتخذ منه المساويك . المفلج : الثغر إذا كانت الأسنان منفرجة غير متراكبة . يشعشع : يمزج ، يقال للخمر إذا مزجت بالماء . الفارسي : من أسماء الخمر ، وكأنه نسب إلى بلاد فارس .

٢ نضا : ذهب لونه . يخلق : يبلى .

صدق الواشون

قال صاحب الأغاني : أهدر السلطان دم جميل لرهط بثينة ، إن وجدوه قد غشي دورهم . فحذرهم مدة ، ثم وجدوه عندها ، فتوعدوه وكرهوا أن ينشب بينهم وبين قومه حرب في دمه ، وكان قومه أعز من قومها ، فأعادوا شكواه إلى السلطان ، فطلبه طلباً شديداً ، فهرب إلى اليمن ، وأقام بها مدة ، وفي ذلك يقول :

أَلَمَّ خَيالٌ ، من بُثَينةَ ، طارقُ ، على النَّأيِ ، مشتاقٌ إليّ وشائِقُ

سرتْ من تِلاعِ الحِجْرِ ، حتى تخلّصتْ إليّ ، ودوني الأشعَرُونَ وغافِقُ [1]

كأنّ فَتيتَ المِسكِ خالَطَ نَشرَها ، تُغَلُّ به أردانُها والمَرافِقُ [2]

تقومُ إذا قامتْ به من فِراشها ، ويغدُو به من حِضْنِها مَن تُعانِقُ [3]

وهَجرُكَ من تَيما بَلاءٌ وشِقْوَةٌ عليكَ ، مَعَ الشَّوقِ الذي لا يفارقُ [4]

---

١ التلاع : جمع تلعة وهي ما ارتفع من الأرض ومسيل الماء . الحجر : اسم ديار ثمود بين المدينة والشام ، وهي قرية صغيرة على يوم من وادي القرى موطن جميل وبثينة . الأشعرون ، جمع الأشعر : وهو أبو قبيلة يمنية ، والنسبة إليه أشعري . غافق : قبيلة أزدية يمنية .

٢ نشرها : ريحها المنتشر . تغل به : أي يدخل طيبه في ثيابها . أردانها : أصول أكمامها . المرافق : السواعد .

٣ وجه الكلام : تقوم به إذا قامت من فراشها .

٤ تيماء : بلاد جميل وبثينة .

ألا إنها ليست تجود لذي الهوى ، بل البُخلُ منها شيمةٌ ، والخلائقُ[1]
وماذا عسى الواشُونَ أنْ يتحدّثوا ، سوى أن يقولوا إنّني لكِ عاشقُ ؟
نعم ، صدقَ الواشُونَ ، أنتِ كريمةٌ عليّ ، وإن لم تَصْفُ منكِ الخلائقُ !

---

١ والخلائق : أي وخلائقها بخيلة .

وما صائب

روي أنه لما اشتهرت بثينة بحب جميل لها ، اعترضه عبيد الله بن قطبة أحد بني الأحب ، وهو من رهطها الأدنين ، فهجاه ، فرد عليه جميل فغلبه ، فاستعدى بنو الأحب عليه عامر بن ربعي ابن دجاجة ، وكان والياً على بلاد عذرة ، وقالوا : يهجونا ويغشى بيوتنا وينسب بنسائنا . فأباحهم دمه، وطلب جميل فهرب منه ، وغضبت بثينة لهجائه أهلها جميعاً ، فقال في ذلك :

وما صائبٌ من نابلٍ قذفتْ به يدٌ ، وممَرٌّ العُقدَتَينِ وَثيقُ[1]
له من خوافي النَّسر حُمٌّ نظائِرٌ ، ونَصلٌ ، كنَصلِ الزاعبيِّ، فَتيقُ[2]
على نبعةٍ زوراءَ ، أمّا خِطامُها فمتْنٌ ، وأمّا عُودُها فعتيقُ[3]
بأوشكَ قتلاً منكِ يومَ رمَيتِني نوافِذَ ، لم تَظْهَرْ لهنّ خُروقُ[4]
تفرّقَ أهلانا ، بُثينَ ، فمنهمُ فريقٌ أقاموا ، واستمرّ فريقُ
فلو كنتُ خوّاراً، لقد باحَ مُضْمَري، ولكنّني صُلْبُ القَناةِ عَريقُ
كأنْ لم نُحارِبْ، يا بُثينَ ، لوَ انّهُ تَكشّفُ غُمّاها ، وأنتِ صَديقُ !

---

١ الصائب : أي سهم صائب . النابل : صاحب النبل . الممر : الشديد الفتل . وأراد بممر العقدتين وتر القوس .

٢ الخوافي : الريش الصغار تحت القوادم . حم ، جمع أحم : وهو الأسود . نظائر : مشابهة . ويريد بذلك الريش الذي يراش به السهم . الزاعبي : الرمح . الفتيق : الحاد .

٣ النبعة : شجرة تتخذ منها القسي ، والمراد بالنبعة القوس بعينها . زوراء : معوجة . الخطام : وتر القوس . متن : قوي . عتيق : قديم .

٤ بأوشك : بأسرع .

غير ناس

مَنَعَ النَّومَ شدَّةُ الاشتِيَاقِ ، وادِّكارُ الحبيبِ بعدَ الفِرَاقِ
ليتَ شِعري ، إذا بُثينةُ بانتْ ، هل لنا ، بعدَ بَينِها ، من تَلاقِ ؟
ولقد قُلتُ ، يومَ نَادَى المُنادي ، مُسْتَحِثّاً برِحْلَةٍ وانطِلاقِ :
ليتَ لي اليومَ ، يا بُثينةُ منكم ، مَجلِساً للوَداعِ قبلَ الفِراقِ !
حيثُ ما كنتمُ وكنتُ ، فإني غَيرُ نَاسٍ للعَهدِ والمِيثَاقِ

حرف اللام

إنها نعلي

لقد فَرِحَ الواشون أن صَرَمَتْ حَبلي ... بُثَينةُ ، أو أبدتْ لنا جانبَ البُخلِ
يقولون : مَهلاً ، يا جميلُ ، وإنّني ... لأُقسِمُ ما لي عن بُثينةَ من مَهلِ
أحِلماً ؟ فقبلَ اليوم كان أوانُه ، ... أمَ اخشى ؟ فقبلَ اليوم أوعِدتُ بالقتلِ
لقد أنكَحُوا جَهلاً نُبَيهاً ظَعينةً ، ... لطيفةَ طيِّ الكَشحِ ، ذاتَ شوًى خَدلِ [1]
وكم قد رأينا ساعياً بنميمةٍ ... لآخَرَ ، لم يَعْمِد بكَفٍّ ولا رِجلِ
إذا ما تراجعنا الذي كان بيننا ، ... جرى الدمعُ من عينَيْ بُثينةَ بالكُحلِ
ولو تركتْ عقلي معي ما طلبتُها ، ... ولكنْ طِلابِيها لما فات من عقلي
فيا ويحَ نفسي ! حسبُ نفسي الذي بها ... ويا ويحَ أهلي ! ما أُصيب به أهلي
وقالتْ لأترابٍ لها ، لا زَعانفٍ ... قِصارٍ ، ولا كُسٍّ الثنايا ، ولا ثُعْلِ [2]
إذا حَمِيَتْ شمسُ النهار ، اتّقينها ... بأكسيةِ الدّيباجِ ، والخزِّ ذي الخَمْلِ

---

١ نبيه : زوج بثينة . ظعينة : أي امرأة . الشوى : الأطراف . الخدل : الممتلىء .
٢ الزعانف ، الواحدة زعنفة : وهي القصيرة . الكس ، جمع كساء : أي قصيرة الأسنان صغيرتها .
الثعل ، جمع ثعلاء : وهي التي في أسنانها زيادة سن ، أو دخول سن تحت أخرى .

تداعَينَ، فاستعجمنَ مشياً بذي الغَضا ، ديبَ القطا الكُدريّ في الدمثِ السّهلِ[1]
إذا ارتعنَ، أو فُزّعنَ ، قُمنَ حوالَيها ، قيامَ بناتِ الماءِ في جانبِ الضَّحْلِ[2]
أراني لا ألقى بُثينةَ مرّةً ، من الدهرِ، إلاّ خائفاً ، أو على رَحْلِ
خليليّ ، فيما عِشتما ، هَلْ رأيتُما قتيلاً بكى ، من حُبّ قاتِله ، قبلي ؟
أبيتُ ، مع الهُلاّك ، ضيفاً لأهلِها ، وأهلي قريبٌ مُوسِعُونَ ، ذوو فضلِ[3]
ألا أيّها البيت الذي حِيلَ دونه ، بنا أنت من بيتٍ ، وأهلُكَ من أهلِ[4]
بنا أنت من بيتٍ ، وحولَكَ لذّةٌ ، وظِلُّكَ لو يُسطاعُ بالباردِ السّهلِ
ثلاثةُ أبياتٍ : فبيتٌ أحبّه ، وبيتان ليسا من هَوايَ ولا شَكلي
كِلانا بكى ، أو كاد يبكي صَبابَةً إلى إلفِه ، واستعجلتْ عَبرَةٌ قبلي
أعاذلَتي أكثرتِ ، جهلاً ، من العذلِ ، على غيرِ شيءٍ من مَلامي ومن عذلي
نأيتُ فلم يُحدثْ ليَ النأيُ سلوةً ، ولم ألفِ طولَ النأيِ عن خُلّةٍ يُسلي
ولستُ على بذلِ الصّفاءِ هَويتُها ، ولكن سَبَتني بالدلالِ وبالبُخلِ
ألا لا أرى اثنَينِ أحسنَ شيمَةً ، على حَدَثانِ الدهرِ، مني ، ومن جُمْلِ
فإن وُجدَتْ نَعْلٌ بأرضٍ مَضلّةٍ ، من الأرضِ ،يوماً، فاعلمي أنها نعلي ![5]

---

١ استعجمن : عجزن عن الكلام وسكتن بعدما تداعين . الغضا : من شجر البادية يتخذ وقوداً لجودته .
٢ بنات الماء : الطيور التي تلازم الماء . الضحل : الماء القليل .
٣ الهلاك : الذين ينتابون الناس ابتغاء معروفهم .
٤ بنا : الباء للتفدية .
٥ أرض مضلة : أي يضل فيها .

قاضي الهوى

وقلتُ لها : اعتَلَلتِ بغير ذنبٍ ، وشرُّ الناس ذو العِلَلِ البَخيلُ[١]
ففاتيني إلى حَكَمٍ مِنَ اهلي وأهلكِ ، لا يَحيفُ ولا يَميلُ[٢]
فقالت : أبتغي حَكَماً مِنَ اهلي؟ ولا يدري بنا الواشي المَحُولُ[٣]
فولّينا الحكومةَ ذا سُجوفٍ ، أخاً دِنيًا ، لَهُ طَرْفٌ كليلُ[٤]
فقلنا : ما قضيتَ به رَضينا ، وأنتَ بما قضيتَ به كَفيلُ
قضاؤكَ نافذٌ ، فاحكُم علينا بما تَهوى ، ورأيُكَ لا يَفيلُ[٥]
وقلتُ له : قُتلتُ بغيرِ جُرمٍ ، وغِبُّ الظّلم مَرتَعُه وَبيلُ
فسَلْ هذي : متى تَقضي ديوني ، وهل يَقضيكَ ذو العِلَلِ المَطولُ ؟
فقالت : إنّ ذا كَذِبٌ وبُطْلٌ ، وشرٌّ ، من خُصومته ، طويلُ
أأقتُلُه ؟ وما لي من سِلاحٍ ، وما بي ، لو أقاتِلهُ ، حَويلُ[٦]
ولم آخُذْ لَه مالاً ، فيُلفَى له دَينٌ عليّ ، كما يقولُ

---

١ اعتللت : أي تجنيت علي وقدمت العلل أي الأسباب ، بغير ذنب مني .
٢ فاتيني إلى حكم : أي خاصميني إلى حكم يفتي بيننا . يحيف : يجور .
٣ المحول : الذي يكيد بسماياته .
٤ ذا سجوف : ذا أستار ، أي امرأة . أخاً دنيا : أي قرابته دانية .
٥ يفيل الرأي : يخطىء ويضعف .
٦ الحويل : القدرة .

وعِند أمِيرِنا حُكمٌ وعَدلٌ ، ورأيٌ ، بعد ذَلِكُمُ ، أصِيلُ
فقال أميرنا : هاتوا شهوداً ، فقلتُ : شهيدُنا الملِكُ الجليلُ
فقال : يَمينَها ، وبذاك أقضي ، وكلُّ قضائِهِ حَسَنٌ جميلُ
فبتّتْ حَلْفَةً ، ما لي لديها نَقِيرٌ ، أدّعِيه ، ولا فَتِيلُ [1]
فقلتُ لها وقد غُلب التعزّي : أما يُقضى لنا ، يا بَتْنَ ، سُولُ ؟
فقالت ثمّ زجّت حاجبيها : أطلتَ ، ولستَ في شيءٍ تُطيلُ [2]
فلا يَجِدَنّكَ الأعداءُ عندي ، فتَثْكَلَني وإيّاكَ الثّكُولُ !

---

١ بتت : قطعت . النقير : الشيء الحقير . الفتيل : الشيء .
٢ زجت حاجبيها : قوستهما ، ولم نجده في المعاجم .

يأس العاشق

لامه أبوه على تماديه في حب بثينة ، فقام وهو يبكي ، فبكى أبوه ومن حضر جزعاً لما رأوا منه . فقال في ذلك :

ألا من لقلبٍ لا يمَلُّ فيَذهَلُ ؛ أفِقْ ، فالتعزّي ، عن بُثينةَ ، أجملُ
سلا كلُّ ذي ودٍّ ، علِمتُ مكانَه ، وأنتَ بها حتّى المماتِ موكَّلُ
فما هكذا أحببتَ من كان قبلها ، ولا هكذا ، فيما مضى ، كنتَ تفعلُ
أعن ظُعُنِ الحيِّ الأُلى كنتَ تسألُ ، بليلٍ ، فرَدّوا عيرَهم ، وتحمّلوا[1]
فأمسوا وهم أهلُ الديار ، وأصبحوا ، ومن أهلِها الغِربانُ بالدارِ تَحجِلُ[2]
على حين ولّى الأمرُ عنّا ، وأسمَحتْ عصا البين ، وانبتّ الرَّجاءُ المؤمَّلُ[3]
وقد أبقت الأيّامُ منّي ، على العِدى ، حُساماً ، إذا مسَّ الضريبةَ ، يَفصِلُ[4]
ولستُ كمن إن سيمَ ضَيماً أطاعَهُ ، ولا كامرىءٍ ، إن عضّهُ الدهرُ يَنكُلُ
لعمري ، لقد أبدى ليَ البينُ صَفحَهُ ، وبيّنَ لي ما شئتُ ، لو كنتُ أعقِلُ[5]
وآخِرُ عهدي ، من بُثينةَ ، نظرةٌ ، على مَوقِفٍ ، كادتْ من البَين تقتُلُ

---

١ العير : القافلة . تحملوا : ارتحلوا .
٢ تحجل الغربان : تنزو في مشيتها .
٣ أسمحت : أطاعت ولانت بعد استصعاب . انبت : انقطع .
٤ الضريبة : الرجل المضروب .
٥ الصفح : الجانب .

فللهِ عينًا من رأى مثل حاجةٍ ، كتمتُكِها ، والنفسُ منها تَململُ
وإني لأستبكي ، إذا ذُكِر الهوى ، إليكِ ، وإني ، من هواكِ ، لأوجلُ
نظرتُ ببِشرٍ نظرةً ظلْتُ أمتري بها عَبرةً ، والعينُ بالدمع تُكحَلُ[1]
إذا ما كررتُ الطرفَ نحوكِ ردّه ، من البُعدِ ، فيّاضٌ من الدمعِ يَهمِلُ
فيا قلبُ ، دع ذِكرى بُثينةَ ، إنها ، وإن كنتَ تَهواها ، تَضَنُّ وتَبخَلُ
قناةٌ من المُرّان ما فوقَ حَقْوِها ، وما تحتَه منها نَقاً يَتهيّلُ[2]
وقد أيأسَتْ من نَيْلِها ، وتجهّمَتْ ، ولَليأسُ ، إن لم يُقدَرِ النَّيْلُ ، أمثلُ[3]
وإلاّ فسَلْها نائلاً قبل بَينِها ، وأبخِلْ بها مسؤولةً حين تُسألُ[4]
وكيف تُرجّي وصلَها ، بعد بُعدِها ، وقد جُذّ حبلُ الوصل ممن تُؤمّلُ
وإنّ التي أحببتَ قد حِيلَ دونَها ، فكن حازماً ، والحازمُ المُتحوِّلُ
ففي اليأسِ ما يُسلي ، وفي الناس خُلّةٌ ، وفي الأرضِ ، عمّن لا يؤاتيكَ ، معزِلُ[5]
بدا كَلَفٌ مني بها ، فتثاقلَتْ ، وما لا يُرى من غائبِ الوجدِ أفضَلُ
هَبِيني بريئاً نِلتِه بظُلامةٍ ، عَفاها لكُم ، أو مُذنباً يتنصّلُ !

---

١ أمتري : أستخرج .
٢ المران : الرماح . حقوها : كشحها ، والمراد بالقناة انتصاب قامتها . النقا : الكثيب ، والمراد به ردفها . يتهيل : يتحرك ويترجرج .
٣ أمثل : أفضل .
٤ النائل : العطاء .
٥ الخلة : الصداقة لا خلل فيها ، والصديق والأصدقاء .

كيف أقول

ألا هلْ إلى إلمامةٍ ، أن أُلِمَّها ، بُثينةُ ، يوماً في الحياةِ ، سبيلُ ؟
على حينَ يسلو الناسُ عن طلبِ الصِّبا ، وينسى ، اتّباعَ الوصل منكِ ، خَليلُ
فإن هي قالتْ : لا سبيلَ ، فقل لها : عَناءٌ ، على العُذريّ منكِ ، طَويلُ
ألا ، لا أُبالي جَفوةَ الناس ، إن بدا ، لنا منكِ ، رأيٌ ، يا بُثَيْنَ ، جميلُ
وما لم تُطِيعي كاشِحاً ، أو تَبَدّلي بنا بدلاً ، أو كانَ منكِ ذُهُولُ
وإنّ صباباتي بكم لكثيرةٌ ، بُثَينَ ، ونِسيْانِيكُمُ لقَليلُ
يَقيكِ جميلٌ كلَّ سوءٍ ، أما لَه لديكِ حَديثٌ ، أو إليكِ رسولُ ؟
وقد قلتُ ، في حُبّي لكمْ وصبابتي ، مَحاسِنَ شِعرٍ ، ذِكرُهُنّ يطولُ
فإنْ لم يكنْ قولي رِضاكِ ، فعلّمي هُبوبَ الصَّبا ، يا بَثْنَ ، كيفَ أقولُ
فما غابَ عن عيني خَيالُكِ لحظةً ، ولا زالَ عنها ، والخَيالُ يزولُ

راكب على جمله

رسمِ دارٍ وقفتُ في طَلَلِهْ ، كدتُ أقضي ، الغَداةَ ، من جلَلِه[1]
مُوحِشاً ، ما ترى بهِ أحَداً ، تَنتَسِجُ الريحُ تُربَ مُعتدِله[2]
وصَريعاً منَ الثُّمام تَرَى عارماتِ المَدَبِّ في أسَلِه[3]
بينَ عَلياءِ وابشٍ ، فَبُلِيٍّ ، فالغَميمِ الّذي إلى جبَلِه[4]
وَاقفاً في دِيارِ أُمِّ حسينٍ ، من ضُحَى يومه إلى أُصُلِهْ
يَا خَليليّ ، إنّ أمّ حسينٍ ، حين يَدنُو الضّجيعُ مِن عَلَلِهْ ،[5]
رَوضَةٌ ذَاتُ حَنوةٍ وخُزَامَى ، جادَ فِيهَا الرّبيعُ من سبَلِه[6]
بينَمَا هُنّ بالأراكِ مَعاً ، إذ بَدا راكِبٌ على جَمَلِه[7]
فتأطّرنَ ، ثُمّ قُلنَ لهَا : أكرِمِيهِ ، حُيّيتِ ، في نُزُلِه[8]

---

١ رسم دار : أي رب رسم دار . من جله : أي من أجله .
٢ معتدله : متوسطه .
٣ الثمام : نبت . العارمات : القوية الشديدة . المدب : مجرى . أسله : عيدانه .
٤ وابش : واد . بلي : تل . الغميم : موضع بالحجاز .
٥ أم حسين وتروى أم جسير : أخت بثينة ، وكان يتغزل بها قبل أن يعشق بثينة . الأصل ، جمع الأصيل : وهو العشي . العلل : الشرب بعد الشرب تباعاً .
٦ الحنوة : نبات سهلي طيب الريح . السبل : المطر .
٧ الأراك : موضع بعرفات .
٨ تأطرن : تثنين . النزل : ما يهيأ للضيف .

فَظَلِلْنَا بِنعمةٍ ، واتّكأنا ، وشَرِبنَا الحَلالَ مِنْ قُلَلِه[1]
قَد أصونُ الحديثَ دونَ أخٍ ، لاَ أخَافُ الأذاةَ مِن قِبَلِه
غيرَ ما بِغْضَةٍ ، ولا لاجتنابٍ ، غيرَ أني ألَحْتُ من وجَلِه[2]
وخليلٍ ، صَافَيتُ مرضياً ، وخليلٍ ، فَارقتُ مِن مَلَلِه

---

١ اتكأنا : أكلنا . القلل ، جمع قلة : وهي الجرة العظيمة .
٢ ألحت : خفت وحذرت .

سعي العواذل

كانت بثينة قد واعدت جميلا للالتقاء في بعض المواضع ، فأتى لوعدها . فعرف أهلها . فحرسوها ومنعوها من الوفاء بوعدها . فلما أسفر الصبح انصرف كئيباً سيء الظن بها ، ورجع إلى أهله ، فجعل نساء الحي يقرعنه بذلك ويقلن : إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر ، وغيرها أولى بوصلك منها ، كما أن غيرك يحظى بها . فقال :

أبثينَ ، إنّكِ قد ملَكتِ فأسجِحي ، وخُذي بحظّكِ من كريمٍ واصلِ [1]
فلربّ عارضةٍ علينا وصْلَها ، بالجِدّ تَخلِطُه بقولِ الهازلِ
فأجبتُها بالرّفقِ بَعدَ تَستّرٍ : حُبّي بُثينةَ عَن وصالكِ شاغِلي
لو أنّ في قلبي ، كقَدْرِ قُلامَةٍ ، فَضْلاً ، وصَلتُكِ ، أو أتتكِ رسائلي
ويقلنَ : إنّكَ قد رضيتَ بباطِلٍ منها ، فهل لكَ في اعتزالِ الباطلِ ؟
ولَباطِلٌ ، ممن أُحِبُّ حَديثَهُ ، أشهَى إليّ من البغيضِ الباذِلِ
ليَزُلنَ عنكِ هوايَ ، ثمّ يَصِلنَني ، وإذا هَويتُ ، فما هوايَ بزائِلِ
صادت فؤادي ، يا بُثينَ ، حِبالُكم ، يومَ الحَجونِ ، وأخطأتْكِ حبائلي [2]

---

١ أسجحي : أي سهلي وأحسني العفو ، وهو مثل يقال : ملكت فأسجح .
٢ الحجون : جبل بمعلاة مكة عنده مدافن أهلها .

منّيتِني ، فلويتِ مَا منّيتِني ، - وجعلتِ عاجِلَ ما وعدتِ كآجِلِ[1]
وتثاقلَتْ لمّا رأتْ كَلَفي بها ، أحبِبْ إليّ بذاكَ من مُتثاقِلِ !
وأطعتِ فيّ عواذلاً ، فهجرْتِني ، وعصيتُ فيكِ ، وقد جهَدنَ ، عواذلي
حاولْنَني لأبتّ حبلَ وصالكم مني ، ولستُ ، وإن جهَدنَ ، بفاعلِ
فردَدتُهنّ ، وقد سعَينَ بهجركم ، لمّا سعَينَ له ، بأفْوَقَ ناصِلِ[2]
يعْضَضْنَ ، من غيْظٍ عليّ ، أناملاً ، ووددتُ لو يعْضَضْنَ صُمّ جنادِلِ !
ويقُلنَ إنّكِ ، يا بثَينَ ، بخيلةٌ ، نفسي فداؤكِ من ضَنينٍ باخِلِ !

---

١ لويت : مطلت .
٢ الأفوق : السهم الذي كسر فوقه ، وهو شق رأس السهم حيث يقع الوتر . الناصل : ما لا نصل له . يقول : أخفق مسعاهن ، فكأنهن رمين بسهم مكسور الفوق لا نصل له .

ولو قطعوا رجلي !

خليليّ ، عُوجَا بالمحلّة ِ من جُمْل ِ ، وأترابِها ، بين الأُجَيفر فالحَبْل ِ ،[1]
نَقِفْ بمَغَان ٍ قد محا رَسمَها البِلى ، تُعاقِبُها الأيّامُ بالرّيح ِ والوَبْل ِ[2]
فلو دَرَجَ النّملُ الصّغارُ بجِلدِها ، لأندَبَ ، أعلى جِلدِها ، مَدرَجُ النّمل ِ[3]
أفي أُمّ عمرٍو تَعذُلاني ؟ هُدِيتُما ! وقد تيّمَتْ قلبي ، وهَام بها عقلي
وأحسنُ خَلقِ الله جِيداً ومُقلةً ، تُشبَّهُ ، في النّسوان ِ ، بالشادن الطِّفل ِ[4]
وأنتِ لعيني قُرّةٌ حينَ نلتَقي ، وذِكرُكِ يشفيني ، إذا خَدِرتْ رجلي[5]
أفِقْ ، أيها القلبُ اللّجوجُ ، عن الجهل ِ ، ودع عنكَ جُملاً ، لا سبيلَ إلى جُمل ِ !
ولو أنّ ألفاً دونَ بَثنةَ ، كلُّهم غَيارى ، وكُلٌّ مُزمِعُونَ على قتلي
لحاولتُها ، إمّا نهاراً مُجاهِراً ، وإمّا سُرى ليل ٍ ، ولو قطَعوا رِجلي !

---

١ الأجيفر : موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس ذكره ياقوت . الحبل : موضع لم يذكره ياقوت .
٢ المغاني : المنازل .
٣ أندب : ترك ندوباً ، أي آثار جراح .
٤ الشادن : ولد الظبية .
٥ خدرت رجلي : من عقائد العرب أن أحدهم إذا خدرت رجله ، ذكر أحب الأسماء إليه ، ليزول الخدر .

ما أشهى وأطيب

أزمع جميل مرة فراق بثينة فقالت له : ادنُ مني ؛ فدنا ، فأسرت إليه كلاماً فغشي عليه ، ثم أفاق فقال :

ألا أيّها الرَّبعُ الذي غيّرَ البِلى ، عفا وخلا ، من بعد ما كان لا يخلو
تَـذأبُ ريحُ المسكِ فيه ، وإنّما به المسكُ إن مرّتْ به ذَيلَها جُمْلُ[1]
وما ماءُ مُزْنٍ من جبالٍ مَنيعةٍ ، ولا ما أكنّتْ، في مَعادنِها، النّحلُ
بأشهى من القولِ الذي قلتِ ، بعدما تمكّنَ من حَيزومِ ناقتيَ الرَّحْلُ[2]
فما روضةٌ بالحَزْنِ صادٍ قَرارُها ، نحاهُ من الوَسميِّ ، أو دِيَمٌ هُطْلُ[3]
بأطيَبَ من أردانِ بَثنةَ مَوهِناً ، ألا بل لريّاها، على الروضةِ ، الفَضْلُ[4]

---

١ تذأب الريح : تجيء في ضعف من هنا وهنا .
٢ الحيزوم : ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر .
٣ الحزن : ضد السهل . صاد : عطشان . نحاه : قصده . الوسمي : مطر أول الربيع . الديم : الأمطار التي تدوم أياماً .
٤ الموهن : نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه .

ليت شعري !

أنختُ جَديلاً عند بَثنَةَ ليلةً ، ويوماً ، أطالَ اللهُ رَغمَ جَديلِ ! [1]
أليسَ مُناخُ النِّضْو يوماً ولَيلةً ، لبثنةَ ، فيما بَينَنا بقَليلِ ؟ [2]
بُثينَ ، سَليني بعضَ مالي ، فإنّما يُبَيَّنُ ، عندَ المالِ ، كلُّ بخيلِ
وإني ، وتَكراري الزّيارةَ نحوَكم ، لبينَ يَدَي هجرٍ ، بُثَينَ ، طويلِ
فيا ليتَ شِعري ، هل تقولين بعدنا ، إذا نحن أزمَعنا غداً لرحيلِ ؟ :
ألا ليتَ أيّاماً مضينَ رواجِعٌ ، وليتَ النّوى قد ساعدت بجَميلِ !

---

١ جديل : اسم البعير الذي كان يزور عليه بثينة .
٢ النضو : أي البعير المهزول .

كانت مقالتها فصلا

بُثينةُ من صِنفٍ يقلّبنَ أيديَ الـ رُّماةِ ، وما يَحْمِلْنَ قوساً ولا نَبلا
ولكنّما يَظفَرْنَ بالصّيدِ ، كلّما جلَونَ الثنايا الغُرَّ، والأعيُنَ النُّجْلا
يُخالِسنَ مِيعاداً ، يُرَعنَ لقولها ، إذا نَطَقَتْ ، كانت مقالتُها فَصْلا
يَرَينَ قريباً بيتَها ، وهي لا ترى ، سوى بيتِها ، بيتاً قريباً ، ولا سَهلا

أقل من القليل

أيا ريحَ الشّمالِ ، أمَا ترَيْني أهيمُ ، وأنني بادي النُّحُولِ ؟
هَبي لي نَسمَةً من ريحِ بثْنٍ ، ومُنّي بالهُبوبِ على جَميلِ !
وقولي : يا بُثينةُ حسب نفسي قليلُكِ ، أو أقلُّ مِنَ القَليل !

عجل الفراق

روى صاحب الأغاني أن جميلا خرج في يوم عيد ، والنساء إذ ذاك يتزين ويبدو بعضهن لبعض ، ويبدون للرجال ، فوقف على بثينة وأختها أم الجسير في نساء من بني الأحب ، فرأى منهن منظراً عجباً ، وعشق بثينة وقعد معهن ، وكان معه فتيان من بني الأحب ، فعلم أن القوم قد عرفوا في نظره حب بثينة ، ووجدوا عليه ، فراح وهو يقول :

عَجِلَ الفِرَاقُ ، وليتهُ لم يَعجَلِ ، وجرتْ بَوادِرُ دمعِكَ المُتهلّلِ
طرَباً ، وشاقَكَ ما لقيتَ ، ولم تخفْ بينَ الحبيبِ ، غداةَ بُرقةِ مِجْوَلِ[1]
وعرفتَ أنّكَ حينَ رُحتَ ولم يكن بَعدُ ، اليقينُ ، وليس ذاك بمُشكِلِ
لن تستطيعَ إلى بُثينةَ رجعةً ، بعد التّفرّقِ ، دونَ عامٍ مُقبِلِ

١ برقة مجول : موضع من جملة برق العرب .

عفة وقناعة

سعت أمة بثينة بها إلى أبيها وأخيها ، وقالت لهما : إن جميلا عندها الليلة ؛ فأتياها مشتملين على سيفيهما ، فوجداهما مجتمعين وجميل يشكو إليها وجده. ثم عرض لها بشيء مما يجري بين العشاق، فأنكرته عليه وقالت : لئن عاودت تعريضاً بريبة ، لا رأيت وجهي أبداً . فضحك وقال لها : والله ما قلت هذا إلا لأعلم ما عندك فيه ، ولو رأيت منك مساعدة ، لضربتك بسيفي ، أوَما سمعت قولي ؟

فقال أبوها لأخيها : قم بنا فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها . فانصرفا وتركاهما .

وإني لأرضى ، من بُثينةَ ، بالّذي ... لوَ ابصَره الواشي ، لقرّتْ بلابلُهْ

بِلا ، وبألاّ أستطِيعَ ، وبالمُنى ، ... وبالوَعدِ حتّى يَسأمَ الوعدَ آمِلُهْ[1]

وبالنّظرةِ العَجْلى ، وبالحَوْلِ تنقضي ... أواخِرُه ، لا نلتقي ، وأوائِلُهْ

---

[1] رواية الأغاني : وبالأمل المرجو قد خاب آمله .

فيا حسنها !

فيا حُسنَها ! إذ يَغسلُ الدمعُ كُحلَها ، وإذ هيَ تُذري الدمعَ منها الأناملُ !
عَشيّةَ قالت في العِتابِ : قتلْتَني ؛ وقتلي ، بما قالت هناك ، تُحاوِلُ
فقلتُ لها : جودي ، فقالت مُجيبةً : ألَلجِدُّ هذا منكَ ، أم أنتَ هازِلُ ؟
لقد جعلَ الليلُ القصيرُ لنا بكم ، عليّ ، لروعاتِ الهوى ، يتَطاوَلُ

زوري واعجلي

يا بَثْنَ حَيّي ، أو عِدِيني ، أو صِلي ، وهوّني الأمرَ ، فزوري واعجَلي
بُثَينَ ، أيّاً ما أردتِ ، فافعلي ، إني لآتي ما أشأتِ مُعتَلي[1]

عاشق أكول

رأى جميل أعرابياً يسمى جعفراً ، وبين يديه رغيف يأكله بنهم ، وهو يبكي ويشكو غرامه ، فقال :

ويُعجِبُني من جَعفَرٍ أنّ جَعفَراً مُلِحٌّ على قُرصٍ ، ويبكي على جُمْلِ
فلو كنتَ عُذرِيَّ العَلاقة ، لم تكن بَطِيناً ، وأنساك الهوى كثْرةَ الأكلِ[2]

---

١ أشأت : ألجأت ، والمراد إني لآتي ما ألجأتني إليه معتلياً .
٢ العلاقة : المحبة .

مدح ابن مروان

قال يمدح عبد العزيز بن مروان حين وفد عليه في مصر :

إلى القَرْمِ الذي كانت يداه ، لفعلِ الخيرِ ، سَطوةَ مَن يُنيلُ[1]
إذا ما غاليَ الحمدِ اشتراه ، فما إن يستقيل ولا يُقيلُ[2]
أمينُ الصَّدر ، يحفَظُ ما تولّى ، بما يكفي القويُّ به ، النبيلُ
أبا مَروانَ ، أنتَ فتى قُرَيْشٍ ، وكَهلُهُمُ ، إذا عُدَّ الكهولُ
تولّيهِ العشيرةُ مَا عَناها ، فلا ضَيْقُ الذراع ، ولا بخيلُ[3]
إليكَ تُشيرُ أيديهم ، إذا مَا رُمُوا ، أو غالَهُمْ أمرٌ جليلُ
كِلا يَومَيْهِ بالمعروفِ طَلْقٌ ، وكلٌّ بلائهِ حَسَنٌ جميلُ
تمايَلَ في الذُّؤابةِ من قُرَيْشٍ ، ثَنَاهُ المجدُ ، والعِزُّ الأثيلُ[4]
أُرومٌ ثابتٌ ، يهتَزُّ فيه ، بأكرَمِ مَنبِتٍ ، فَرعٌ طويلُ[5]

---

١ القرم : السيد .
٢ يستقيل : يطلب فسخ البيع . يقيل : يفسخ البيع .
٣ عناها : شق عليها ، وأحزنها .
٤ ثناه : أماله .
٥ الأروم : الأصل .

نعي جميل

قيل لما حضرت جميلا الوفاة ، وهو في مصر ، دعا برجل ، وقال له : هل لك أن أعطيك كل ما أخلفه ، على أن تفعل شيئاً أعهد به إليك ؟ قال : نعم . قال : إذا مت ، فخذ حلتي هذه ، واعزلها جانباً ، وكل شيء سواها لك ؛ وارحل إلى رهط بثينة على ناقتي هذه ، والبس حلتي هذه إذا وصلت ، واشققها ، ثم اعل على شرف وصح بهذه الأبيات . فلما أتى الرجل وأنشد الأبيات ، برزت بثينة ، وقالت : يا هذا ، إن كنت صادقاً فقد قتلتني ؛ وإن كنت كاذباً فقد فضحتني . فقال : ما أنا إلا صادق. وأراها الحلة. فصاحت وصكت وجهها ، فاجتمع نساء الحي يبكين معها ، حتى صعقت ، فمكثت مغشياً عليها ساعة ، ثم قامت وقالت :

وإن سلوي عن جميل لساعة من الدهر ، ما حانت ، ولا حان حينها
سواء علينا ، يا جميل بن معمر ، إذا مت ، بأساء الحياة ولينها

وهذه أبيات جميل ينعى بها نفسه :

صدَعَ النَّعيُّ ، وما كنى بجَميلِ ، وثَوَى بمصرَ ثَواءَ غيرِ قَفُولِ [1]
ولقد أجُرُّ الذيلَ في وادي القُرى ، نَشوانَ ، بينَ مَزارعٍ ونَخيلِ [2]
بكرَ النّعيُّ بفارِسٍ ذي هِمّةٍ ، بَطَلٍ ، إذا حُمّ اللّقاءُ ، مُذيلِ [3]
قُومي ، بثينةُ ، فاندُبي بعويلِ ، وابكي خليلَكِ دونَ كلّ خليلِ !

---

١ صدع : تكلم بالحق جهاراً ، أي صرح النعي بجميل . ما كنى : أي ما ستر ، ولا تكلم بصورة الكناية ، وهي ضد التصريح . ثوى : أقام ، والضمير يعود على جميل . غير قفول : غير راجع .
٢ ولقد أجر الذيل : التفات إلى المتكلم ، وهو جميل . وجر الذيل : كناية عن التيه والتبختر .
٣ حم : قضي . اللقاء : أي لقاء الأعداء . مذيل : مهين ، أي مهين للأعداء .

حرف الميم

جذام سيوف الله

كانت أم جميل من بني جذام ، فخرج جميل إلى أخواله ،
ومدحهم ، فأعطوه مائة بكرة ، وذلك حيث يقول في جذام :

جُذامٌ سيوفُ اللهِ في كلّ مَوطِنٍ ، إذا أزَمتْ ، يومَ اللّقاءِ ، أزامِ[1]
همُ منعوا ما بين مِصرٍ فذي القُرى ، إلى الشامِ ، من حِلٍّ به وحَرَامِ
بضربٍ يُزيلُ الهَامَ عن سَكَناتِهِ ، وطعنٍ ، كإيزاغِ المَخاضِ تُؤامِ[2]
إذا قصّرَتْ ، يوماً ، أكُفٌّ قبيلةٍ عن المجدِ ، نالتْهُ أكُفٌّ جُذامِ

---

١ أزمت أزام : أي عضت كريهة عضوض ، وهو مبني على الكسر كقطام . اللقاء : أي لقاء الأعداء .
٢ السكنات ، جمع سكنة : وهي مقر الرأس من العنق . الإيزاغ : إخراج البول دفعة واحدة . المخاض : الحوامل من النوق ، أو التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر . تؤام : جمع توأم .

وقيعة سالم

كان جواس بن قطبة العذري متزوجاً أم الحسين أخت بثينة ، فوقع الهجاء بينه وبين جميل ، فغضب لجميل نفر من قومه يقال لهم بنو سفيان ، فجاؤوا إلى جواس ليلاً ، وهو في بيته ، وعوروا امرأته أم الحسين في تلك الليلة ، فقال جميل :

وما عَرَّ جوّاسُ اسْتَها إذ يَسبُّهم ، بصَقْرَيْ بني سُفيانَ ، قيسٍ وعاصمِ [1]
هما جَرّدا أمَّ الحسينِ ، وأوقَعا أمرَّ وأدهَى من وقيعةِ سالمِ [2]

---

١ عره : ساءه وأصابه بمكروه .

٢ وقيعة سالم : أي سالم بن دارة ، وهو شاعر مخضرم هجاء . هجا بني فزارة ، وتعرض بالإهانة لأم دينار وهي أم رجل يقال له زميل بن أبير ، أحد بني عبد الله بن مناف ، فلقيه زميل خارج المدينة وضربه بسيفه ضربتين ، وعقر بعيره . فرجع سالم إلى المدينة يتداوى ، فقيل إن امرأة لعثمان بن عفان فزارية اسمها بسرة ، دست للطبيب سماً في دوائه فمات ، فانتقمت فزارة ، وانتقم زميل . فهذا ما أراده جميل من وقيعة سالم .

السنام الأعظم

خرج مروان بن الحكم مسافراً في نفر من قريش ، ومعه جميل بن معمر ، فقال له مروان : انزل فارجز بنا ؛ وهو يريد أن يمدحه . فنزل جميل، ورجز مفتخراً، فقال مروان : عد عن هذا ! فرجز متلهفاً على البيت المعدي ، كما مر بنا سابقاً ، فقال له مروان : اركب لا ركبت ! وهذا قوله في الفخر :

أنا جميلٌ في السَّنامِ الأعظَمِ ، الفارِعِ النّاسَ ، الأعزِّ الأكرمِ[1]

أحمي ذِماري ، ووجدتُ أقرُمي ، كانوا على غاربِ طَوْدٍ خِضْرِمِ[2]

أعْيا على الناسِ ، فلم يُهدَّمِ

---

١ في السنام الأعظم : أي في المكان العالي . الفارع الناس : أي الذي علاهم بالشرف .

٢ الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته كالعرض والمال وما أشبه . أقرمي : أي سادات قومي ، واحدها قرم . الغارب : الكاهل . الخضرم : العظيم الواسع .

طاب الواديان

لَعَمري، لقد حَنَّتْ شَغْبٌ إلى بَدَا   إليّ ، وأوطاني بلادٌ سِواهُما [1]

حَلَلْت بهذا حَلّةً ، ثمّ حَلّةً   بهذا ، فطابَ الواديانِ كِلاهُما

---

١ شغب : قرية خلف وادي القرى موطن جميل وبثينة ، أو منهل بين مصر والشام . بدا : موضع بوادي القرى ، وقيل بوادي عذرة قرب الشام . وقوله : وأوطاني بلاد سواهما ، يريد أنه كان يومئذ بعيداً عنها ، ولعله قال ذلك وهو في مصر .

حرف النون

سليني مالي !

عرف الرجال من أهل بثينة أنهما يجتمعان على خلاء ، فرصدوه بجماعة ، فجاء على ناقته الصهباء حتّى وقف على بثينة وأختها أم الحسين ، فوثبوا عليه ، فرماهم ونجا سليماً وقال :

حلفتُ بربّ الراقصات إلى مِنًى ، هُوِيَّ القَطا يَجتَزْنَ بطنَ دفينِ[1]
لقد ظنّ هذا القلبُ أن ليس لاقياً سُلَيمَى ، ولا أمَّ الحُسينِ لحِينِ
فليتَ رجالاً فيكِ قد نَذَروا دمي ، وهَمّوا بقتلي ، يا بُثَينَ ، لقُوني !
إذا ما رأوني طالعاً من ثَنيّةٍ ، يقولون : من هذا ؟ وقد عرفوني[2]
يقولونَ لي : أهلاً وسهلاً ومرحباً ! ولو ظَفِروا بي خالياً ، قتلوني
وكيف ، ولا تُوفي دماؤهمُ دمي ، ولا مالُهم ذو ندهةٍ فيدوني

* * *

١ الراقصات : الإبل التي تسير خبباً . منى : من مناسك الحج قرب مكة . هوي القطا : أي تهوي هوي القطا . دفين : موضع .
٢ الثنية : العقبة في الجبل ، وطلاع الثنايا كناية عمن يقدم على مشاق الأمور .

وغُرُّ الثّنايا ، من رَبيعةَ ، أعرضَتْ حروبُ مَعَدٍّ دونَهنَّ ودوني[1]
تَحَمّلْنَ من ماء الثُّديّ كأنما تَحَمّلَ مِنْ مُرْسًى ثِقالُ سَفينِ[2]
كأنّ الخُدورَ أولجتْ، في ظِلالِها ، ظِباءَ المَلا ليست بذاتِ قُرونِ[3]
إلى رُجُحِ الأعجازِ ، حُورٍ نمَى بها ، مع العِتْقِ والأحساب ، صالحُ دِينِ[4]
يبادِرنَ أبوابَ الحِجالِ كما مشى حَمامٌ ضُحًى في أيْكةٍ ، وفنونِ[5]
سدَدنَ خَصاصَ الخَيمِ ، لمّا دخَلنَه ، بكلّ لَبانٍ واضحٍ ، وجبينِ[6]
دعوتُ أبا عمرٍو ، فصدّق نَظرتي ، وما إن يَراهنّ البصيرُ لحِينِ
وأعرضَ رُكنٌ من أحامِرَ دونَهم ، كأنّ ذُراه لُفّعَتْ بسَدينِ[7]
قرَضْنَ، شَمالاً ، ذا العُشَيْرَةِ كلَّها ، وذاتَ اليمين ، البُرْقَ بُرْقَ هَجينِ[8]

---

١ وغر الثنايا : أي ورب نساء بيض الأسنان ، من بني ربيعة : قبيلة من معد بن عدنان . أعرضت : أي عرضت ، والمراد عرضت دوني ودونهن الحروب .
٢ تحملن : رحلن . الثدي : قيل إنه موضع بنجد . وقال ياقوت : « وأنا أحسبه بالشام لأن جميلا ذكره وكانت منازله بالشام . » وأورد البيت . شبه هوادجهن بسفن ثقال خرجت من مرساها .
٣ الملا : الفلاة . وقوله : ليست بذات قرون ، لأنهن نساء .
٤ رجح الأعجاز : ثقال الأرداف . العتق : الكرم والجمال والشرف ، والحرية .
٥ الحجال ، جمع حجلة : وهي القبة والستر . الأيكة : الشجر الملتف . الفنون : الغصون ، وهذا الجمع لم تذكره المعاجم ، والمعروف أن الفنن يجمع على أفنان بحسب القياس .
٦ الخصاص : كل خلل وخرق . الخيم ، جمع خيمة : ليس بينه وبين مفرده إلا الهاء ، يذكر ويؤنث . اللبان : الصدر ، أو ما بين الثديين .
٧ أحامر : جبل . السدين : الشحم والصوف .
٨ قرضن : قطعن . ذا العشيرة : موضع . برق هجين ، أو هي برقة هجين : موضع . قال ياقوت : كأنها بين الحجاز والشام . وأورد شعر جميل . والبرقة : الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان .

وأصْعَدنَ في سَرّاءِ ، حتى إذا انتحَتْ شَمالاً ، نَحا حادِيهم ُ لِيَمينِ[1]
وقال خليلي : طالعاتٌ من الصَّفَا ، فقلت : تأمّلْ ، لَسْنَ حيثُ تُريني[2]
ولو أرسلتْ ، يوماً ، بُثينةُ تَبتَغي يميني ، ولو عزّت عليّ يميني ،
لأعطيتُها ما جاء يبغي رسولُها ، وقلتُ لها بعد اليمين : سَليني ،
سليني مالي ، يا بُثينَ ، فإنّما يُبيَّنُ ، عند المالِ ، كلُّ ضَنينِ
فما لكِ ، لمّا خبّرَ الناسُ أنني غدرتُ بظهرِ الغيبِ ، لم تَسَليني
فأُبلي عُذراً ، أو أجيءُ بشاهدٍ ، من الناسِ ، عَدلٍ أنّهم ظلموني[3]
بُثينَ، الزمي لا ، إنّ لا ، إن لزمتِه ، على كَثْرةِ الواشينَ ، أيُّ مَعُونِ[4]
لحا اللهُ من لا ينفعُ الوعدُ عنده ، ومَنْ حَبلُه ، إن مُدّ ، غيرُ متينِ
ومن هو ذو وجهين ليس بدائمٍ على العهدِ ، حلاّف بكلّ يمينِ
ولستُ ، وإن عَزّت عليّ ، بقائلٍ لها بعد صَرمٍ : يا بُثَينَ ، صِليني !

---

١ سراء : بفتح السين . قال ياقوت : كذا مضبوط بخط ابن نباتة ، كأنه اسم هضبة ، وأورد شعر جميل .
٢ الصفا : جبل بين بطحاء مكة والمسجد ، وهما جبلان الصفا والمروة .
٣ أبلي عذراً : أي أقدم عذراً مقبولا .
٤ المعون : المعونة .

رهين الذئب

شهِدتُ بأني لم تغَيَّر مودّتي ، وأني بكم ، حتى الممات ، ضنينُ
وأنّ فؤادي لا يلينُ إلى هوى . سواكِ ، وإن قالوا : بلى ، سيَلينُ
فقد لانَ أيّامَ الصِّبا ثم لم يكد ، من الدهر ، شيءٌ ، بعدهنّ ، يلينُ
ولمّا علَونَ اللاّبتَينِ ، تشوّفتْ قلوبٌ إلى وادي القُرى ، وعيونُ[1]
كأنّ دموعَ العينِ ، يومَ تحمّلتْ بثينةُ ، يسقيها الرّشاشَ مَعينُ[2]
ظعائنُ ، ما في قُرْبهنّ لذي هوًى من الناس ، إلاّ شِقْوَةٌ وفُنُونُ
وواكَلنَهُ والهمَّ ، ثمّ تركنَه ، وفي القلبِ ، من وجدٍ بهنّ ، حنينُ
ورُحنَ ، وقد أودَعنَ قلبي أمانةً لبَثنَةَ : سِرٌّ ، في الفُؤاد ، كمينُ
كسِرّ النّدى ، لم يعلم الناسُ أنّه ثوَى في قَرَارِ الأرضِ وهو دَفينُ
إذا جاوزَ الاثنينِ سرٌّ ، فإنّه ، بنَثٍّ وإفشاء الحديثِ ، قَمينُ[3]
تُشيِّبُ رَوعاتُ الفِراق مَفارقي ، وأنشَزنَ نفسي فوقَ حيثُ تكونُ[4]

---

١ اللابتان : حرتان تكتنفان المدينة . وادي القرى : موضع قرب المدينة كان يقيم به جميل وبثينة .

٢ تحملت : ترحلت . الرشاش ، جمع الرش : وهو الماء . المعين : الماء الجاري على وجه الأرض .

٣ النث : الإفشاء . قمين : جدير .

٤ أنشزن نفسي : رفعنها عن مكانها ، أي تجيش نفسه من خوف الفراق . يقال : جاشت النفس ، إذا ارتفعت من حزن أو فزع .

فواحسرَتا ! إنْ حِيلَ بيني وبينها ، ويا حَيْنَ نفسي ، كيف فيكِ تَحينُ ![1]
وإني لأستغشي ، وما بيَ نَعسةٌ ، لعلَّ لِقاءً ، في المنام ، يكونُ[2]
فإن دامَ هذا الصّرمُ منكِ ، فإنني لأغْبَرِها ، في الجانِبِينَ ، رَهينُ[3]
لكيما يقول الناسُ : مات ولم يَمِنْ عليكِ ، ولم تَنبَتّ منكِ قرونُ[4]
يقولون : ما أبلاكَ ، والمالُ عامرٌ عليكَ ، وضاحي الجِلد منك كَنينُ[5]
فقلت لهم : لا تَعذُلونيَ ، وانظُروا إلى النازِعِ المقصورِ كيف يكونُ[6]

---

١ الحين : الهلاك . تحين : تهلك .
٢ أستغشي : أتغطى كيلا أسمع ولا أرى ، وهنا يستغشي لينام .
٣ لأغبرها : لذئبها ، أي ذئب الفلاة . الجانبون : الغرباء النازحون عن بلادهم .
٤ لم يمن : لم يكذب . تنبت : تنقطع . قرون : حبال ، أي حبال المودة والوفاء .
٥ الضاحي : البارز للشمس تصيبه . كنين : مستور .
٦ النازع : الرامي بالسهم . المقصور : الذي قصره قيده ، أي حبسه وقهره ، وهذا مثل ذكره الأساس .

أصلي فأبكي

أرى كلَّ معشوقينِ ، غيري وغيرَها ، يَلَذّانِ في الدّنْيا ويَغْتَبِطانِ
وأمشي ، وتمشي في البلادِ ، كأنّنا أسيرانِ ، للأعداءِ ، مُرتَهَنانِ
أُصلّي ، فأبكي في الصّلاةِ لذِكرِها ، ليَ الويلُ ممّا يكتُبُ المَلَكانِ[1]
ضَمِنْتُ لها أنْ لا أهيمَ بغيرِها ، وقد وثِقَتْ مني بغيرِ ضَمانِ
ألا ، يا عِبادَ اللهِ ، قوموا لتسمعوا خُصُومةَ مَعشوقَينِ يختصمانِ
وفي كلِّ عامٍ يستَجِدّانِ ، مرّةً ، عِتاباً وهَجراً ، ثمّ يَصطلِحانِ
يعيشانِ في الدّنْيا غَريبَينِ ، أينما أقاما ، وفي الأعوامِ يلتقيانِ
وما صادِياتٌ حُمْنَ ، يوماً وليلةً ، على الماءِ ، يُغشَيْنَ العِصيَّ، حَوانيِ[2]
لواغِبُ ، لا يَصْدُرْنَ عنه لوِجْهةٍ ، ولا هنّ من بَردِ الحِياضِ دَواني[3]
يرينَ حَبابَ الماءِ ، والموتُ دونه ، فهنّ لأصواتِ السُّقاةِ رَواني[4]
بأكثَرَ منّي غُلّةً وصَبابَةً إليكِ ، ولكنّ العدوّ عَداني[5]

---

١ يكتب الملكان : أي يكتبان من أعماله السيئة لحساب الآخرة .
٢ صاديات : أي نياق عطشات . يغشين : يضربن . حواني : لاويات الأعناق .
٣ لواغب : معييات ، أعياهن السير أشد الإعياء .
٤ حباب الماء : نفاخاته التي تعلوه . روان : مديمات النظر .
٥ الغلة : العطش . عداني : أي صرفني عنك وشغلني .

أتانا منانا

وهما قالتا : لوَ انّ جميلاً عرَض اليومَ نـَظرةً ، فرآنـَا
بينما ذاك منهما ، رأتـَاني أعـْمِلُ النَّصَّ سـَيرَةً زَفـَيانا[1]
نظرتْ نحو تِرْبِها ، ثمّ قالتْ : قد أتانا ، وما علِمنا ، مُنانا !

---

١ النص : السير الجد الرفيع ، يستخرج فيه أقصى ما عند الناقة من السير . زفياناً : طرداً سريعاً .

لا مرحباً بغد

يا عاذليَّ ، من الملامِ دعاني ، إنَّ البليّةَ فوقَ ما تَصِفانِ
زعمتْ بُثينةُ أنَّ فُرقتنا غداً ، لا مرحباً بغدٍ ، فقد أبكاني

ولا تجعليني أسوة العبد

بلغ جميلا أن بثينة علقت حجنة الهلالي ، واستبدلته به ، فجفاها .
وقال في ذلك :

فيا بثنَ ،إن واصلتِ حُجْنةَ ،فاصرِمي حبالي ، وإن صارمتِهِ ، فصِلِيني
ولا تجعلِيني أُسوةَ العبدِ ، واجعلي مَعَ العبدِ ، عبداً مثلَه ، وذَرِيني !

قد علم الأعداء

هاجى عبيد الله بن قطبة العذري جميلا ، فهجاه جميل واستعلى عليه ، فأعرض عنه عبيد الله . واعترضه أخوه جواس بن قطبة زوج أم الحسين أخت بثينة ، وكان جميل يذكرها في شعره ، فهجاه وذكر أختاً له فقال فيها :

إلى فخذيها العبلتين ، وكانتا ، بعهديَ ، لفاوين ، أُردفتا ثقلا

وكان جميل يحتقره ولا يهاجيه ، حتى قال ذلك ، فغضب وواعده للمراجزة ، فحضر بشر كثير في وادي القرى ليسمعوا مراجزتهما ، فقال جميل :

يا أُمَّ عبدِ الملِكِ اصرِميني ، فبيّني صَرميَ ، أو صِليني[1]

أبكي ، وما يُدريكِ ما يُبكيني ، أبكي حِذاراً أن تُفارِقيني

وتجعلي أبْعَدَ منّي دوني ، إنَّ بني عمّكِ أوعَدوني

أن يقطعوا رأسي ، إذا لَقُوني ، ويقتُلوني ، ثمَّ لا يَدُوني[2]

كلاَّ ، ورَبِّ البيتِ ، لو لَقُوني شَفعاً ووَتراً ، لَتَواكَلوني ![3]

قَد عَلِمَ الأعداءُ أنَّ دوني ضرباً ، كإيزاغِ المَخاضِ الجُونِ[4]

---

١ أم عبد الملك : كنية بثينة .

٢ يدوني : يؤدون ديتي .

٣ الشفع : الزوج . الوتر : الفرد . تواكلوني : أي وكلني بعضهم إلى بعض خوفاً مني .

٤ الإيزاغ : إخراج البول دفعة واحدة . المخاض : الحوامل من النوق ، أو التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر . الجون : السود .

ألا أسُبُّ القومَ ، إذ سبّوني ؟ بلى ، وما مرَّ على دَفِينِ[1]
وسابحاتٍ بلِوى الحَجُونِ ، قَد جرّبوني ، ثمّ جرّبوني[2]
حتّى إذا شابُوا وشيّبُوني ، أخزاهُمُ اللهُ ، ولا يُخزيني !
أشباهُ أعْيارٍ على مَعِينِ ، أحسَسْنَ حِسَّ أسَدٍ حَرُونِ[3]
فهنّ يضرِطنَ من اليَقِينِ ، أنا جَميلٌ ، فتعَرّفُوني ![4]
وما تقنّعْتُ ، فتُنكروني ، ومَا أُعَنّيكُمْ ، لتسألوني[5]
أُنمي إلى عاديّةٍ طَحُونِ ، ينشقُّ عنها السيلُ ذو الشؤونِ[6]
غَمْرٌ ، يَدُقُّ رُجُحَ السَّفِينِ ، ذو حَدَبٍ ، إذا يُرى ، حَجُونِ[7]
تَنحَلُّ أصفَادُ الرجالِ دوني

---

١ دفين : موضع . وقوله : وما مر على دفين ، الواو للقسم ، والمراد ما مر من الحجاج إلى بيت الله الحرام .

٢ وسابحات : معطوف على وما مر ، وهي الخيل لسبحها بيديها . اللوى : ما التوى من الرمل . الحجون : جبل بأعلى مكة .

٣ الأعيار ، جمع عير : وهو الحمار الوحشي . المعين : الماء الجاري على وجه الأرض . حرون : أي لا يبرح مكانه .

٤ اليقين : الموت ، أي يضرطن من خوف الموت .

٥ أعنيكم : أؤذيكم ، وأحزنكم ، وأكلفكم ما يشق عليكم .

٦ العادية : القديمة ، أي قبيلة قديمة . الشؤون : الخطوب والأمور ، والمراد أن هذه القبيلة قوية عظيمة كالسيل الجارف .

٧ الغمر : الماء الكثير . يدق : يكسر ، أو يضرب ويهشم . رجح السفين : السفن الثقيلة الموقرة . الحدب : ارتفاع السيل وتراكبه في جريه . الحجون : البعيد الطويل ، أو الذي يجري في غير الطريق التي يرى أنه يجري فيها .

أنا جميل

قال أبو عمرو الشيباني : صبح مروان بن الحكم ، فسار بين يديه جميل بن معمر ، فقال له: انزل فسق بنا. فنزل جميل وقال شعراً يذكر فيه بثينة . فقال له مروان: عد عن هذا. فرجز ذاكراً نفسه ولم يذكر مروان . فأعرض عنه وكلف جواس بن قطبة العذري وكان في جملة مرافقيه . وهذا رجز جميل :

أنا جميلٌ ، والحِجازُ وطني ، فيه هوَى نفسي ، وفيه شَجَني

هذا ، إذا كان السّباقُ دَيدَني[1]

---

[1] ديدني : دأبي وعادتي .

وحي الجن

تعرض الأبيرق العتبي لوالد جميل ، ففضل عليه قطبة والد عبيد الله من بني الأحب رهط بثينة ، وكان جميل يهاجي عبيد الله وينافسه ، فقال يهجو الأبيرق :

يا ابن الأبَيرِقِ ، وَطْبٌ بِتَّ مُسنِدَهُ   إلى وِسادِكَ ، من حُمِّ الذّرى جُونِ [1]
وأكلَتانِ ، إذا ما شئتَ مُرتَفِقاً ،   بالسيرِ ، من نَغِلِ الدَّفّينِ مَدهُونِ [2]
اذكُرْ ، وأُمُّكَ مني ، حين تَنكُبُني   جِنّي ، فيَغلِبُ جِنّي كلَّ مجنونِ [3]

---

١ الوطب : سقاء اللبن من جلد الجذع وهو الفتيّ من الإبل . الحم : السود . الذرى ، جمع ذروة : وهي سنام البعير . الجون : السود .
٢ مرتفقاً : متنفعاً . النغل : الفاسد من الجلد في الدباغ . الدفين : الجنبين . مدهون : مدبوغ .
٣ أمك مني : أي أنها من أنسبائه بني عذرة . جني : أي شياطين شعري .

حرف الهاء

تجنيات

خليليّ ، إن قالت بُثينةُ : مَا لَهُ أتانا بلا وعدٍ ؟ فقولا لها : لهَا[1]
أتى ، وهو مشغُولٌ لعُظمِ الذي به ، ومن بات طولَ الليل يرعى السهى سها[2]
بثينةُ تُزري بالغزالةِ في الضّحى ، إذا برزت ، لم تُبق يوماً بها بَها[3]
لها مُقلةٌ كَحلاءُ ، نَجلْاءُ خِلقَةً ، كأنّ أباها الظبيُ ، أو أُمَّها مها[4]
دهتني بودٍّ قاتلٍ ، وهو مُتلفي ، وكم قتلتْ بالوُدّ مَن وَدَّها ، دَها[5]

---

١ لها : غفل .
٢ السهى : كوكب خفي .
٣ الغزالة : الشمس .
٤ النجلاء : العين الواسعة .
٥ دها : أي دهاء .

لعلها

علقت بثينة حجنة الهلالي فجفاها جميل وقال :

وَرُبَّ حبالٍ ، كنتُ أحكمتُ عَقدَها ، أُتيحَ لها واشٍ رَفيقٌ ، فحلّها[1]
فعُدنا كأنّا لم يكن بيننا هوًى ، وصارَ الذي حَلَّ الحِبالَ هوًى لها
وقالوا: نراها، يا جميلُ، تبدّلَتْ ، وغيّرها الواشي ؛ فقلتُ : لعلّها !

---

١ رفيق : من الرفق .

حرف الياء

لبيك داعي الحب !

بلغه أن مروان بن هشام الحضرمي والي تيماء من قبل عبد الملك ابن مروان يطارده ، وكان أهل بثينة قد استعدوه عليه ، فقال :

أتانيَ عن مَروانَ ، بالغَيبِ ، أنّه ... مُقيدٌ دمي ، أو قاطِعٌ من لِسانيا[1]
ففي العِيسِ منجاةٌ وفي الأرضِ مذهَبٌ ... إذا نحنُ رفّعنا لهنّ المثانيا[2]
وردّ الهوى أُثنانُ ، حتى استفزّني ... من الحبِّ، مَعطوفُ الهوى من بلاديا[3]
أقولُ لداعي الحبّ ، والحِجْرُ بيننا ، ... ووادي القُرى : لبّيك ! لمّا دعانيا[4]
وعاودتُ من خِلٍّ قديمٍ صبابتي ، ... وأظهرتُ من وجْدي الذي كان خافيا
وقالوا : بهِ داءٌ عَياءٌ أصابه ، ... وقد علِمتْ نفسي مكانَ دوائيا

---

١ مقيد دمي : أي منزل بي القصاص .

٢ المثاني : الحبال من صوف أو من شعر . وقوله : رفعنا لهن المثانيا ، أي كلفناهن السير المرفع ، وهو دون العدو .

٣ أثنان : موضع بالشام ، ذكره ياقوت وأورد شعر جميل .

٤ الحجر : اسم ديار ثمود بين المدينة والشام ، وهي قرية صغيرة على يوم من وادي القرى ذكرها ياقوت وأورد شعر جميل .

أمضروبةٌ ليلى على أن أزورَها ، ومُتَّخِذٌ ذنباً لها أن ترانيا ؟
هي السِّحرُ ، إلاّ أنّ للسِّحرِ رُقْيَةً ، وإنيَ لا ألفي لها ، الدهرَ ، راقيا
أحِبّ الأيامَى ، إذ بُثينةُ أيِّمٌ ، وأحببتُ ، لمّا أن غنيتِ ، الغَوانيا[1]
أُحِبّ من الأسماءِ ما وافَقَ اسمَها ، وأشْبَهَهُ ، أو كانَ منه مُدانيا
ودِدْتُ ، على حُبِّ الحياةِ ، لو انها يُزاد لها ، في عُمرها ، من حياتيا
وأخبرتماني أنّ تَيْماءَ مَنْزِلٌ لليلى ، إذا ما الصّيفُ ألقَى المَراسيا[2]
فهذي شُهور الصيفِ عنّا قد انقضَتْ ، فما للنّوى ترمي بليلى المَراميا ؟
وأنتِ التي إن شئتِ أشقيتِ عيشتي ، وإنْ شئتِ ، بعد الله ، أنعمتِ باليا
وأنتِ التي ما من صديقٍ ولا عِداً يرى نِضْوَ ما أبقيتِ ، إلاّ رثى ليا[3]
وما زلتِ بي ، يا بَثْنَ ، حتى لوَ انني من الوجدِ ، أستبكي الحمامَ ، بكى ليا
إذا خَدِرَتْ رِجلي ، وقيل شفاؤها دُعاءُ حبيبٍ ، كنتِ أنتِ دُعائيا
إذا ما لَديغٌ أبرأ الحَلْيُ داءهُ ، فحَلْيُكِ أمسى ، يا بُثينةُ ، دائيا[4]
وما أحدَثَ النأيُ المفرِّقُ بيننا سُلوّاً ، ولا طولُ اجتماعٍ تَقاليا[5]

---

١ الأيامى ، جمع أيم : وهي المرأة التي مات زوجها . غنيت : تزوجت . الغواني ، جمع الغانية : وهي المتزوجة التي استغنت بزوجها .
٢ كنى بليلى عن بثينة . ويروى هذا البيت لمجنون بني عامر . قال صاحب الأغاني : وتيماء خاصة منزل لبني عذرة ، وليس من منازل بني عامر ، وإنما يرويه عن المجنون من لا يعرفه .
٣ النضو : المهزول .
٤ كانوا يداوون الذي لدغته الحية بأن يجعلوا في يديه الحلي لئلا ينام فيدب السم فيه .
٥ التقالي : التباغض .

ولا زادني الواشونَ إلاّ صَبابةً ، ولا كثرَةُ الواشينَ إلاّ تَماديا
ألم تَعلمي يا عَذبَةَ الرّيق أنني أظَلُّ ، إذا لم ألقَ وجهكِ ، صاديا ؟
لقد خِفْتُ أن ألقَى المنيّةَ بَغتَةً ، وفي النَّفس حاجاتٌ إليكِ كما هيا
وإني ليُنْسيني لِقاؤكِ ، كلّما لقيتُكِ يوماً ، أن أبُثّكِ ما بيا

الفهرست

ت

ح

د

ر

ع

ف

ق

ل

م

ن

هـ

ي

ديوان العرب

ظهر في هذه المجموعة :